شاطئ النسيان: مجموعة قصصية
مجموعة كاتبات
غلاف: محفوظ أحمد
تدقيق لغوي: أسامة غريب
إخراج فنيّ: الباشا عبدالباسط
رقم الإيداع: 11587 / 2018
الترقيم الدولي: 978 - 977 - 776 - 665 - 4

دار الزيات للنشر والتوزيع :Facebook Page
E_mail: bentelzayat1@gmail.com
Website: www.bentelzayat.tk

رئيس مجلس الإدارة / د. شاهندة الزيات

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©
لدار الزيات
المشهرة قانونًا بسجلّ تجاريّ رقم / 49351

شَاطِئُ النِّسْيَانِ

قِصَصٌ قَصِيرَةٌ

مَجْمُوعَةُ كَاتِبَاتٍ

دار الزيات للنشر والتوزيع
صدق حلمك يتحقق

ذكريات

سحر محمد الصياد

رؤى تنتابني، وجوه أعرفها ولا أعرفها، أماكن لم أرها من قبل وإن كانت مألوفة لي.

من أين تأتيني هذه الرؤى والذكريات؟

أعيش في دوامات منها منذ فترة.

لا أؤمن بتناسخ الأرواح، ولكن ما أمُرُّ به أمر يحيرني ولا أجد له تفسيرًا.

أتذكر مرض جدتي ومهاتفتها لي أن أترك كل ما يشغلني في لندن العاصمة وآتي إلى بيتها الكبير في الريف الإنجليزي.

أوجعتني آهاتها وهي تلح أن آتي سريعًا فلم يعد في عمرها إلا القليل.

أنهيت ما استطعت من عملٍ على مهلٍ وحوَّلت المتبقي منه لزملائي.. لم تكن بي حماسة للذهاب إلى البيت الكبير في الريف، ما أبعد الأيام التي كنت أذهب فيها صغيرة احتفالًا بالأعياد وتجتمع كل العائلة من كبار وصغار لعدة أيام..

كم مضى؟ أكثر من عشرين عامًا، وأنا لست من هذا النوع الذي تستميله العاطفة والحنين، لا تصلح هذه العواطف في عصرنا هذا وقد يكون كما تلومني جدتي "يسيطر عليك البرود الإنجليزي".

أنهيت مشاغلي خلال أسبوعين، وانطلقت بالطائرة لأقرب ما يمكن من قرية أجدادي، وأكملت الطريق الباقي بسيارة.. لا أطيق القطارات والبطء الذي تسير به وتوقفها في عدة محطات، وإن كنت أعلم عشق جدتي وأمي للسفر بهذه الطريقة المملة مع تأمل معالم وتفاصيل الطريق، ومقارنة التغيرات التي تطرأ على المدن والقرى منذ آخر سفر. كم عانيت من هذا الملل في أسفارنا.

وصلت للمزرعة، وكأن السنوات لم تمر! كل شيء كما تركته منذ عشرين عامًا..

أشجار التفاح التي تمتد أفرعها لتلامس بعضها كأصابع الراقصين تزينها ألوان زاهية ما بين الأخضر والأحمر.

اصطبل الخيل والصهيل الذي يعطي إحساس بالطمأنينة والأمان والانطلاق وبجواره مضمار السباق، حيث كان جدي يدرب خيله الأصيل للسباقات الكبرى، والبيت الخشبي العتيق.. يا الله.. كما هو، لم يتغير فيه شيء.. كما هو بالأرجوحة الكبيرة التي طالما احتضنتني وأبناء وبنات عمومتي، وكرسي جدي الهزاز، ألم يمر الزمن من هنا؟

كما لو كانت صورة ثابته لم يمضِ وقت على التقاطها عندما كنت في الخامسة عشر، وها هي أمامي كما هي بعد مضي كل هذا العمر.

إلا جدتي، لقد زحفت عليها أغلال الزمن وتجعد جلدها.. وانحنى عودها الفارع وإن كان الحُسن ما زال يسكن ملامح وجهها الأبيض المشرب بحمرة

لذيذة في الخدين.. نفس البسمة.. نفس النظرات البراقة الشقية.. ولكن مع صوت واهن ضعيف لم أميزه من الصوت القديم القوي.

لم تضيع جدتي الوقت، أخذتني من يدي تتكئ عليها بمساعدة عصاها في اليد الأخرى.. متجاوزة بي البهو وكل الأروقة والغرف العديدة إلى حيث غرفتها.

مازالت الغرفة مشرقة وواسعة.. تزين جدرانها الأوراق المزخرفة بأزهار وردية وقرمزية اللون. مازال المكتب الكبير يحتل الركن. أراهن أن الأوراق لم تتحرك من سنوات.. رغم النظافة الشديدة التي تشع من المكان

أشارت إلى كرسيها الهزاز أن أقربه من فراشها.. ساعدتها لتصعد إلى سريرها ذا الطراز الفيكتوري الفخم والذي كنت أحب أن أمرر يدي على نقوشه البارزة في صغري.. كم أصبح حجمه صغيرًا.. لا.. أنا من كبرت بالطبع.

بعدما التقطت أنفاسها.. أخرجت من تحت الوسادة حقيبة من القماش الملفوف بشرائط وردية. فضته وأخرجت منه صندوق صغير مزخرف بنقوش أعتقد أنها عربية أ وفارسية..

قالت:

لا وقت لدي.. أحس بهذا يا "أولجا"

وابتسمت ابتسامة مرهقة وإن كانت ما تزال حلوة..

أعرف أنك عملية جدًّا كما جدك.. ولكن لي عندك رجاء وأمنية أتمنى أن تحققها لجدتك..

أنتِ وريثتي الوحيدة.. وأعرف أنك ستبيعين كل شيء.. البيت والأحصنة والمزرعة..

غامت عيناها قليلًا.. وتهدجت أنفاسها.. لك كامل الحرية يا ابنتي.

ولن تهتمي بأي شيء يحمل ذكريات جدَّيك أو أمك..

وأدارت رأسها تحتويني بنظراتها.

أليس كذلك؟ لا عليك.. لن أحزن.. فلقد أوصيت بعدة أشياء غالية على قلبي وإن كانت بخسة الثمن لعدد من معارفي الذين أعرف كم ستعني لهم هذه التذكارات البسيطة، ففيها ذكريات مشتركة بيني وبينهم.

صمتت.. لا أدري أمن الوهن والمرض أم من غلبة الذكريات والحنين الذي لمسها وأفتقده أنا..

كل شيء لك..حتى الشقة التي أمتلكها في مصر..

رأت علامات الدهشة على وجهي.

_ماذا؟؟ أنسيت أن طفولة وصبا جدتك كانا في مصر؟؟

_آه.. تذكرت أن أمي قالت لي شيء عن هذا. ولكن لم يعلق في ذهني. حتى ذكرتيه الآن.

تنهدت مرتسم على وجهها حنين وملامح طفولية وكأن تجاعيد شيخوختها قد زالت مع الذكرى.

آه.. مصر.. كم أحب هذا البلد.

ضحكت في داخلي من الصورة الساذجة التي تبادرت إلى ذهني عندما ذكرت اسم مصر، جمال وصحراء وأغنام وبدو وعدة أهرامات وآثار، هذه الصورة رغم أني أعرف أن مصر والبلاد العربية ليست بمثل هذه البدائية.. ولكن سيطرت الصورة التي يبثها الإعلام والأفلام عن العرب.

تنبهت لها.. لدي شقة ملكي في القاهرة.. في عمارة كبيرة تطل على النيل.

أتعرفي.. عندما بنيت هذه العمارة منذ أكثر من ستين عامًا. لم يصدق أحدٌ أبدًا أنه ستبنى بناية تتجاوز الثلاثين طابق.. وتوقع الكثيرين أنها ستتحطم ولن تتحمل الأرض هذا الارتفاع والثقل.

وكان إيجارها باهظًا لا يقدر عليه إلا القلة ومنهم أبي الجواهرجي الشهير أيامها هناك..

تهدج صوتها.. وخفت.

_ابنتي. لي عندك رجاء.. اذهبي هناك.. تلمسي بدلًا مني جدران شاهدت مرحي وصباي.. مري على الشوارع. تنشقي الهواء هناك بدلًا مني.. تأملي وجوه الناس البشوشة.. أسمعيني أصوات الباعة وضجيج الأطفال في الحدائق.. مازال المبنى كما هو. لقد أخبرتني حفيدة صديقتي اليزابيث بذلك وهي تتصفح الإنترنت..

اسمها عمارة بلمونت.. كافة الأوراق هنا في الصندوق.. مدت يدها لتعطينيه.. أخذته وسرت فيَّ قشعريرة أوقعته على حاشية الفراش..

_مرهقة أنتِ من السفر؟؟ لا عليك.. لقد أخذت الحمية من المصريين. ولم أعطك فرصة للراحة.

تناولت الصندوق ولفته بيديها الواهنتين في قماشه المخملي وربطته بالشريط الوردي بيد مرتجفة..

ناولتني الصندوق.. مددت يدي خائفة أن تعاودني الصعقة الكهربية التي أحسستها سابقًا.. ولكن لم يحدث شيء.

_احتفظي به.. فبه أغلى ذكرياتي.. كل الأوراق لدى المحامي.. لا تقلقي.. أرجو أن تحققي أمنيتي وتذهبي لمصر.

تأملت وجهها.. أين التجاعيد؟؟ أين علامات المرض.

كأن ما باحت به قد أزال عنها كل هذا.

مدت يدها لتدق الجرس الذي يتدلى حبله بجوار رأسها.. فأتت على إثره إحدى الخادمات..

_اذهبي بالسيدة أولجا لغرفتها.. هل أفرغت حقائبها؟؟ هل وضعت شيء من الكعك والشاي بالغرفة؟

أومأت الخادمة بالإيجاب.. وأشارت إليَّ أن أتبعها.

قبلت وجنة جدتي وحملت الصندوق معي وتوجهت لغرفتي (غرفة أمي في طفولتها وشبابها)

استيقظت صباحًا على يد الخادمة تربت على كتفي، فتحت عيني متسائلة.

أخبرتني بدون مقدمات بموت جدتي أثناء نومها.

أتم المحامي كل شيء بسلاسة، وتم عرض كل الأملاك للبيع، إلا الشقة التي بمصر..

فلقد ترددت في بيعها عن طريق المحامي وأرجأت الأمر بعض الشيء.

لا أعرف لم؟ هل أنوي أن أنفذ ما أوصتني به جدتي؟ ولكن لدي الكثير من العمل ولا أريد أن تتعطل مسيرتي المهنية..

بعد شهر وجدت أن الفكرة تلح عليَّ بطريقة أثرت على عملي. ولأول مرة أحس بملل وخفوت الهمة في أدائه.

وما المانع من السفر؟

ها أنا أتطلع للنيل من شرفة فندقي. في انتظار الشخص الذي سيصحبني من السفارة ليريني شقتي. أقاوم شعور بالرقة والضعف ينتابني وأنا أتأمل النيل.

أعتقد أنني على وشك المرض لتبدل الطقس. ما هكذا تعودت في نفسي. فأنا عادة قوية ومتماسكة الأعصاب ولا أنجرف وراء مشاعر أو ضعف.

أتى موظف السفارة وتوجهت للمنزل برفقته.. أهذه هي العمارة الشاهقة يا جدتي؟!

دخلت من البوابة القديمة والمتماسكة رغم مرور الأعوام.

تبدل مشهدها وإذا بها جديدة يلمع حديد بوابتها وكأنه طُلي منذ أيام فقط. ما هذا الضوء الشديد والسلم البراق والمصعد بلونه الزاهي ومراياه. من تلك الطفلة التي تنظر إليَّ، وأين أنا في المرآة؟؟

وجدت نفسي أستند على يد الموظف وهو يتساءل ما بك يا آنسة أولجا؟

لم أعرف ماذا أقول له.. أنا لا أعرف ماذا حدث وما هذا الذي شاهدته.

صعدنا للشقة وأنا مستندة على يد مستر سيلفر، فتح الباب بمفتاح ناولته إياه.. أنيقة جدًّا هذه الشقة رغم قدم الأثاث.

_هذه شقتك.. لقد قمنا باستئجار من ينظفها كما طلب منا محاميك عبر الهاتف.. هل لك أي مطالب أخرى؟

أجبته وأنا ما بين الوعي واللاوعي: أشكرك. أرجو أن ترافقني حتى أصل لفندقي،لست على ما يرام.

ركبت المصعد مرة أخرى. مغمضة عيني، متجنبة أن ألامس أي شيء حولي.

عدت لفندقي وقد عاد لي انتعاشي وكامل وعيي. لا أعرف ماذا مرَّ بي؟. ما هذا الإعياء وما تلك الرؤى؟

لا بد أن أعود مرة أخرى. لم أعتد أن أخاف من شيء. حتى وإن كانت رؤى ومشاعر مجهولة، سأذهب بحقائبي غدًا في الصباح وأقيم هناك. أشعر بشيء يشدني ويجذبني وإن كنت مندهشة مما يحدث معي.

وفي الصباح التالي أنهيت حجزي لغرفتي بالفندق وطلبت سيارة تحمل متاعي.

عانيت كثيرًا حتى وصلت لداخل الشقة وأغلقت الباب عليَّ، كأنها إغماءات وكأني أشاهد فيها نفس المكان وإن كان بهيئة أجدد ومن منظور لم أخبر به منذ زمن.

إن كان ما يحدث إرهاق السفر فلمَ لم أحس بذلك إلا عند مراقبتي للنيل أو وجودي في هذه العمارة.

لمَ لم يحدث هذا وأنا في أي مكان بالفندق أو بالمطار؟

لم يوقفني أو يخوفني أي شيء.

الشعور بالإعياء ينتابني وأنا أحاول مقاومته. جلست على أول مقعد يقابلني. رأيت تلفازًا يعرض فيلمًا غير ملون. وبيدي كأس من المثلجات. ما هذا؟ إن يديَّ صغيرة.. يد طفلة، ما ألذَّ هذا الطعم! من هذه السيدة التي تحدثني وتمسح يدي وفمي وتقبلني. كم هي مرحة تلك الطفلة التي أنظر عبر عينيها.. أركض أو تركض. لا أعرف. تفتح باب الشقة، شهقت إثر تزحلقي أنا وهي على درابزين السلم. نستقر على السلم. نجلس على سلمة ونصيخ السمع.. من الشقة المجاورة لمكان جلوسي تنبعث أصوات آلات موسيقية وتنبعث نغمات مرحة. وصوت جميل يغني بالعربية. ماذا؟ منذ متى وأنا أفهم هكذا لغة؟ وهكذا لهجة؟ أهز رأسي وأدق بكعب حذائي الصغير طبقًا للنغمات. قليلًا ثم أقوم وأرقص. آه لو يسمح لي عمي محمد فوزي أن أدخل وأطلب منه أن يغني لي أغنية "ماما زمانها جاية". أكيد ستكون أحلى مما أسمعه في الراديو. مرَّ وقت طويل وقد تجمع معي على السلم أصدقائي من أطفال العمارة. وكلما مرَّ ساكن يلاطفنا ويستمع معنا برهة ثم يذهب إلى طريقه. وها هي ماما تناديني للغداء. أصعد وأنا أتقافز وأدلف إلى الشقة.. وتزول الرؤيا.

لا أفهم ما حدث. ما مررت به منذ قليل ليس من ذكريات طفولتي أبدًا. ومن عمي محمد هذا. وما شغفي بتلك النغمات والكلمات المصاحبة لها؟ هذا لا يطاق. لو كنت في لندن لذهبت لطبيب نفسي حالًا. ولكني هنا لا أعرف أي منهم. كما أن لغتي لا تسمح لي بمشاورة أي طبيب إن لم يكن ملمًّا بها. ما هذه الحيرة!

سأذهب للنوم وليحدث ما يحدث..

استيقظت بعد أحلام عديدة، رأيت فيها من منظور طفلة مرة ومن منظور صبية مرة أخرى أحداث لا أعرفها، وإن كنت أشارك بها بشغف ومرح. استيقظت مرهقة الذهن. لابد أن أنهي كل شيء هنا وأعود لبلدي ولعملي. لا أستطيع أن أعيش هكذا في عالم ما بين الأحلام والحقيقة. ولا أجد تفسير عقلاني لما يحدث لي.

أخذت صندوق جدتي. أتسلى بما به حتى تهدأ نفسي وأستطيع ترتيب أفكاري.

أخرجت الصندوق من القماش الملفوف به، وأنا أحذر أن ألمسه بيدي خوفًا من صعقة أخرى! فلقد حاولت بعد وفاة جدتي أن أطالع ما به فصدمتني صعقة ثانية. جعلتني أبتعد عن ملامسته، وإن كان الفضول يقتلني لأعرف ما به ولماذا يحدث ما يحدث عندما ألامسه بدون القماش المغلف به؟ لذا ارتديت قفازًا وفتحته. الكثير من الصور والأوراق والتذكارات الغريبة..

هذه الطفلة التي يتكرر ظهورها في الصور. هي نفس الطفلة التي شاهدتها في مرآة المصعد أول يوم لي هنا. إنها جدتي.

أنا شاهدت جدتي في مرآة المصعد. لا، أنا لم أشاهد نفسي ولم أشاهد موظف السفارة في المرآة. شاهدت جدتي أو كنت أنا جدتي.. ما هذا التخريف؟ نعم كنت أنا أنظر للمرأة ولكن شاهدت جدتي وهي طفلة تنظر إلى! أ وأنا أنظر إليها!

أكاد أجن. ماذا يحدث لي؟ فلأخرج للشرفة أتنشق بعض الهواء. ما أجمل هذا المنظر! إنه النيل مرة أخرى. هذا البلد ساحر ولطيف. جلست على المقعد وأنا أتأمل حولي. وفجأة داهمتني رؤية أخرى.. هناك عبر الضفة الأخرى من النيل. أرقب بمنظار ما يبدو إنه تصوير لأحد الأفلام. أقفز بحماسة وأنا أقول لصديقاتي.. إنه أحمد مظهر. وهذه صباح.. متى ينتهي العمل في هذا الفيلم ويعرض في السينما؟ (فيلم الأيدي الناعمة) أعتقد أنه سيكون فيلمًا مثيرًا.. لا تحاولن.. لقد حاولت أن أدخل وأشاهد التصوير ولكن ممنوع الاقتراب..

هرج وكلام من هنا وهناك، وضحكات شابة.. أنزلت المنظار وابتعدت عن سور الشرفة وإذا بكل ما سبق يتلاشى من أمامي وأنا أنظر للنيل. آه.. لقد خلعت القفاز من يدي ولامست سور الشرفة.. إذن أنا أرى تلك الأشياء بملامستي المباشرة. هل أرتدي القفاز دائمًا حتى لا يحدث لي هذا.. وما الذي يحدث؟

فلأرتب افكاري...

أنا رأيت جدتي وهي طفلة كأنني أنظر عبر عينيها.. آه.. لحظة. وجربت على الصندوق.. نعم.. أنا كنت وسط صاحبات جدتي ونحن في الشرفة. كنت

أكبر سنًّا. كنت أو كانت شابة.. وها هي صورة لصاحباتها.. وصورة أخرى للفيلم من نفس الشرفة. ولكن الصور بالأبيض والأسود وأنا شاهدت المشاهد طبيعية وأنا أنظر بالمنظار. لا أفهم.

هل روح جدتي حلَّت في جسدي؟ لا أؤمن أبدًا بما يسمونه تناسخ الأرواح. أخذت اللاب توب وقررت أن أبحث في هذا الأمر. قصص عديدة لو كنت طالعتها من يومين لقلت تخريف، ولكن ما مر بي جعل عقلي مشتت.

لم يقتصر الأمر على الرؤى. أنا أحس بمشاعر أخرى مختلفة. هذه الحماسة وتدفق المشاعر وهذا الحنين! لم تمر بي أبدًا مثل تلك الأحاسيس. وكأني أتبدل لشخص آخر بصفات مناقضة تمامًا لما كانت تسميه جدتي البرود الإنجليزي. هل جدتي تتقمص الآن جسدي ومشاعري وأحاسيسي؟ هل أتحول لشخصية جدتي وأحمل مشاعرها وأحاسيسها؟؟ لم تنتابني الآن عاطفة شديدة نحو هذا البلد الذي لم أعرفه إلا منذ قليل؟ وهذا الضعف الذي ينتابني كلما تأملت النيل؟

لم أصل لشيء طوال الأيام التي قضيتها أبحث عما بي.. حتى إني تشاورت مع من يسمون أنفسهم روحانيين ومن يؤمنوا بتناسخ الأرواح وانتقال الأفكار وعلوم ما وراء الطبيعة عمومًا. لم أقتنع أبدًا بموضوع التناسخ.

أنا إنسانة عملية ولا أستطيع أن أفهم كيف تحتل جدتي المتوفاة جسدي وأفكاري.. كيف انتقلت إلى ذكرياتها؟ هل تنتقل الذكريات عن طريق الجينات الوراثية كما تنتقل الأمراض الوراثية. لمَ لا؟ هذا هو التفسير الوحيد المنطقي.

ولكن هل هذا يهم الآن؟ لقد قررت أن أعيش هنا كما رغبت جدتي دائمًا أن تعيش هنا. أحببت ذكرياتنا المشتركة وكم أنتظر بشغف الرؤى التي تنتابني وتريني كيف عاشت ولم أحببت أنا وهي هذه البلدة؟ فقط ما أخشاه أحيانًا رقة المشاعر التي سيطرت عليَّ وغيرت من طبيعتي. وهذا الميل للمرح الذي لم أعتده وإن كنت أحببته. نعم سأكمل ما انقطع من ذكريات جدتي..وها أنا أتلمس بدلًا منها جدران شاهدت مرحها وصباها.. وأمر على الشوارع وأتنشق بدلا منها الهواء وأتأمل الوجوه وأسمع لها صوت الباعة وأتنعم وإياها بضجيج الأطفال في الحدائق.

* * *

عثرات قلب

سالي محمد عيسى

بين خطواتها المبعثرة، وتلعثم كلماتها.. العديد والعديد من الآلام كانت سببًا فيما هي عليه، ذات العينان البندقيتان والجدائل السمراء، ملامحها بها مسحة براءة، تنم عن طفلة كبيرة، وليتهم يعلمون أن براءتها سبب في هلاكها!

كانت "سعاد" تجلس منطوية بعيدًا عن باقي زملائها في قاعة الاستراحة بالمشفى.. تُمسك بكوب قهوتها وتحتسيها ببطء بعيدًا عن ضجيج هذا العالم السحيق، تكره الضجيج وتكره الناس.. هي تكره كل شيء، وكان لـ "معاذ" دور كبير في هذا، أحبته بصدق ولم يحبها، اقتربت وابتعد هو، وعندما قرر الاقتراب أبعدها عن كل ما حولها لتصبح له، ولم تكن لتعترض.. ولكن بعدما عزلها عن كل من هم حولها تركها..

تركها وحيدة تعاني من اضطرابات الشوق والوحدة معًا، تتذكر يوم خطبتهما وكأنه الأمس.. تتذكر كُل شيء، ابتسامته، حلته السوداء، وحتى الأغاني كان لذاكرتها نصيب من تذكرها، كُل شيء أنتهى في لحظة.. لا تدري ما سبب الفراق، وما سبب تركها في منتصف الطريق، هو يعلم أنها لا تهوى الوقوف على محطات الانتظار مهما أرهقها الشوق..

هو يعلم.. لذا أذاها بما يعلم!

انتبهت لكوب القهوة الذي تضمه بين أصابعها.. لقد فرغ محتواه، فنفضت عنها ذكرياتها البائسة وقامت لتباشر عملها، فه وما تبقى لها.

صاح أحدهم: آنسه سعاد..

التفتت سعاد لترى المُنادي فوجدته أحد زملائها الذي لم يمل التقدم لخطبتها، فقالت على مضض:

ماذا هناك؟

عمر بتلعثم: أعتذر منك لإزعاجك ولكن لمَ لا توافقين على رؤيتي؟ ألا أستحق فُرصة؟ لا أطلب منك الموافقة.. فقط أريد فرصة لنتحدث.

سعاد: الأمرُ ليس هكذا يا دكتور عمر، ولكن لا أحب أن أعطي لأحد أمل أنا حتى لا أملكه.. أستأذنك بالرحيل..

غادرت سعاد ووقف عمر مكانه ينظر للفراغ مُحدثا نفسه "لمَ تُحب تلك الفتاة ارتداء رداء الحزن على غائب لا يستحق، لا أدري ما الذي يحدث لي أنا أحبها بصدق، وليتها تعرف ذلك!"

اقترب منه زميل آخر وقال:

ألم تيأس بعد يا عمر منها؟

انتبه عمر لمحدثه وقال:

إن يئست أنا.. كيف تقنع قلبي أن يرفع رايات الاستسلام! الحب لا يعرف الاستسلام.

حامد: تُرهق نفسك بالركض وراء بقايا امرأة، وهي تُرهق قلبها بالبحث عن بقايا حُب.. سيقتلكما ما تفعلانه يومًا ما..

عمر: لا بأس لنرى من سيسأم الركض أولًا..

حامد: وفقك الله لما هو خير.. أستأذنك أنا، السلام عليكم..

عمر: وعليكم السلام..

* *

ما إن انتهت من عملها في روتينية عادت إلى منزلها البسيط المكون من ثلاث غرف متوسطة الحجم، تسكن فيها مع والدتها وأخيها بعدما لقي والدهما حتفه في حادث.. دلفت إلى المنزل وحاولت رسم بسمة اعتادت في تصنعها أمام والدتها حتى لا تحملها همًّا فوق همها وقالت لها:

اشتقت يا أماه.

ابتسمت والدتها بدورها واقتربت منها لتحتضنها وقالت:

ونصيبي من الشوق كان أكبر عزيزتي..

نظرت سعاد لها وقالت:

أشعر وكأنك تريدين قول شيء ما.. ما بك؟

"عزة:" عمر..ذلك الرجل الطيب، تقدم لخطبتك مرة أخرى، فقط أريدك أن تعطيه فرصة، أريد أن أسعد بك وأطمئن عليك يا فتاتي قبل أن يأتي دوري في الرحيل، أخوك أصبح رجلًا لا قلق عليه.. ولكن أنتِ! كيف أتركك في زمن كهذا دون سند تستندين عليه؟

سعاد: وهل تظني عمر لن يكن مثل معاذ؟! لن يتركني في منتصف الطريق دون مُبرر؟ كيف لي أن أثق بأحد بعدما ذقت ما ذقته.. أخبريني كيف؟

"عزة:" وإن أخطأنا الاختيار مرة.. نحبس أنفسنا عن العالم حتى لا نخطئ؟!

نحن بشر عزيزتي نصيب تارة ونخطئ أخرى، نذنب تارة ونتوب أخرى.. ويجب علينا الخوض في معارك الحياة لا الخوف منها والخوف من مصاعبها، لا أحبذ أن تتخذي دور المتفرج، فهو لا يليق بك، أنتِ أقوى من هذا.

صمتت سعاد وكأنها تقلب كلام والدتها في رأسها، هي تعلم أن والدتها محقة ولكن قلبها ما زال ينزف.. وعمر إما أن يكون المُعالِج فيلتأم الجرح، وإما أن يكون سببًا في المزيد من الجروح.. قالت بعد بُرهه:

موافقة.. ولكن لا أريد الجلوس معه قبل الخطبة.

"عزة:" لمَ؟

سعاد: ستكثر أسئلته وليس لديَّ طاقة لها..

ابتسمت عزة بفرح وغادرت على الفور لتخبر طفلها الكبير بقرار أخته، ليوصله لعمر.

فرح حمزة هو الآخر بقرار أخته، فهو يفضل عمر كثيرًا، ويحبه حبًّا جمًّا..

فأخبر عمر على الفور، وطرب قلب عمر لسماع هذا الخبر وأتفق مع حمزة على يوم الخطبة..

* *

مرت أيام الأسبوع سريعًا وأتى يوم الخطبة، قامت سعاد بجسد مُثقل من على فراشها، شعرت بخوف وقلق يسير إلى أوردتها.. تتمنى أن يُمحِ عمر ما فعله معاذ، نادتها والدتها بسعادة قائلة:

سعاد.. هيا أفيقي وكفاك كسل، فاليوم يوم خطبتك عزيزتي.

وقفت سعاد أمام مرآتها وقالت ردًّا على والدتها:

لقد استيقظت يا أمي.

نظرت سعاد لتلك الهالات التي تكاد تبتلع عينيها.. في مثل هذه المناسبة كانت في قمة سعادتها فالآن ستحجز لحبيب قلبها وبعد بضعه شهور ستصبح زوجته، كانت تشعر وكأنها طفلة تنتظر لعبتها المفضلة.. ولكن لم تكن تعرف أن ليست كل الألعاب تعود، وليس كل ما يتمناه المرء يدركه.

كانت تخبره أنها تخاف الوحدة، وتستاء من أنه يبعدها عمن حولها، فيطمئنها أنه بجوارها.. وأنه كل ناسها، وأهلها وكل ما قد تحتاج إليهم يومًا ما..

حتى عند وفاة والدها، شعرت وكأنما كُسرت وهي التي لا تكسر، وكان يخبرها دائمًا أنه أبيها.. أخبرها أن والدها روحه معلقة به، وأنه لن يجعلها تشعر باليتم يومًا، ولكنه نسي أن يخبرها أنه كاذب.

قاطعها صوت طرقات على باب غرفتها فقالت:

تفضل..

دلفت ابنة عمها وكانت الأقرب لقلبها، هي لم يكن لها أخوات ولكن ابنة عمها كانت نعم الأخت ونعم السند..

احتضنتها حور وقالت بسعادة:

وأخيرًا..

سعاد بخوف: حور.. أنا خائفة، ليت بإمكاني إلغاء الأمر، أشعر وكأنني أظلم عمر معي، لا مكان له بقلبي.

حور رافعة أحد حاجبيها في دهشة: إذًا لمَ وافقتِ؟

سعاد: حتى تهدأ أمي..

حور: حسنًا لأخبرك أمرًا ما.. هذه مجرد خطبه إن كان عمر يحبك حقًّا فسيصلك هذا الشعور يومًا ما، وسيصبر عليك ولن يتخلى عنك، وإن لم يكن فلا بأس فهي تجربة لا أكثر.. إذًا جميلتي لا تضعي للأمر بالًا.

تنهدت سعاد وقالت: حسنًا.

حور: هيا أمامنا الكثير لنفعله.

"تزينت سعاد بفستان رقيق من اللون القرمزي، وكان عمر يرتدي حُلة زرقاء"

ما إن رأته سعاد حتى ابتسمت، بداية مبشرة بالخير لم يرتدي أسود مثل معاذ، وكزتها حور وقالت:

إيَّاك والمقارنة بينهما، معاذ لم يكن يحبك ولكنه أحب حبك له، أما عمر فيمكنني بالكاد أن أرى عينيه ترقص فرحًا لرؤيتك، يُحبك بحق.

سعاد: أتظنين ذلك؟

حور: ولمَ لا..؟

اقترب عمر منهما وقدم لها باقة الورد التي كان يحملها في يده، ثم جلس على كرسي بجوارها، فابتسمت وتحسست الورد بيدين مرتجفتين وقالت هامسه: ليت قلبي ينسى.. فلم يعد للروح من متسع تحمل!

اقترب عمر وهمس: أعرف أنك لستِ بحلالي بعد، ولكن دعيني أخبرك أنني لست مثل مُعاذ، تعلق قلبي بك منذ رأيتكِ في حفل خطبة أخته كنتِ تجلسين وحيدة على استحياء، شعرت ببراءتك وكم أنتِ نقية.. تتبعت أخبارك وتعلقت بك، طلبتك من الله في كل صلاة ولكن فوجئت بزميل لي يخبرني أنك تحبين معاذ وتتمنين لو يراك فقط، وبعد أسابيع وأخيرًا سيتحقق حلمك الصغير ويصبح معاذ لك، تحطمت حينها ولكنني تماسكت، فالآن أنتِ خطيبة أخي ليس من حقي التفكير حتى بك، وبعدها علمت أنك تعينتِ في نفس المشفى الذي أعمل به، حاولت صرف نظري عنك، وأن أتجنب أي تعامل معك.. وقد كان.

مرت سنة ورأيتك صدفة وكأنك شخصًا آخر، وكأنك وردة ذابلة، تغيب صاحبها عن سقايتها، سألت أحد الزملاء فأخبرني أن معاذ عندما انتقل إلى القاهرة إلى عمله الجديد، أحب فتاة وتزوجها.. وتركك دون أي مبررات، فقط أرسل والدته تخبرك أن كل شيء قسمة ونصيب، شعرت بنار تأكلني، قد ابتعدت عن معاذ لذا لم أعرف أخباره، ولم أحاول أن أعرفها.. لا يهمني الأمر، يومها حدثته فأخبرني أنه شغف مراهق أحب أن تحبه فتاة بهذا القدر، ثُرت أكثر، حاولت أن أصل إليك.. أحدثك حتى رفضتِ، حدثت أخاك وأصبحنا أصدقاء، تمنيت حتى أن تعطيني فرصة، وأن تسمحي لقلبك أن

يُطرق من جديد، أظن أنك مللتِ من كثر طلبي للزواج بكِ، فقد مرت سنة ولم أكِل ولم أمل أن أطلبك، وعندما وافقتِ شعرت وكان كُتب لي عمرًا جديد وحياة جديدة، لذا أعدك أن لا أجرحك وأن أحفظك وردة في بستاني ولا أهمل سقايتها، فقط أطلب منك فرصة.. أن تفتحي لي قلبك، وأعدك.. لن تندمي.

فغر فاه سعاد من الدهشة وقالت: كُلُّ هذا..

بكت فانتبهت لها والدتها واقتربت ثم قالت: ضايقك؟

مسحت سعاد دموعها التي هطلت رغمًا عنها وقالت: بل أنا ضايقته، ولم يكن يستحق.

"عزة:" حسنًا عزيزتي.. اهدأي حتى لا يظن أحدهم أنك مجبره عليه، وألسن الناس لا تصمت.

أومأت سعاد ثم التفتت إلى عمر وقالت: أظنك عوض الله لي.

اقتربت والدة عمر منهما حاملة "الشبكة" لتلبسها لعروس ابنها، ثم علت الأناشيد، وتسللت السعادة إلى قلب سعاد رغمًا عنها، ولكن سعادة يشوبها خيوط قلق من المجهول.

مرَّ اليوم على خير، استيقظت في اليوم التالي بهمة ونفضت عنها آثار النوم، ثم ارتدت ثيابها واتجهت إلى عملها.. وعندما دخلت تتالت عليه التهاني والمباركات، استقبلتها بابتسامة كاذبة ثم ذهبت لتباشر عملها بنصف عقل،

فقد كانت تفكر في كلمات عمر، استحوذت جُل تفكيرها.. هل يحبها لهذه الدرجة؟ وهل ستستطيع منحه الحب بنفس الدرجة!

الحب لا يُمنح هو فقط يخترق القلوب بصدق، لا أحد يستطيع منح أحدهم الحب دون أن يشعر به، أن يتخلل في أعماق قلبه..

بينما هي تباشر عملها أقترب منها وألقى السلام فردته وأكملت فقال:

أنا أردت أن أخبرك أنني حتى وإن لم تحبيني فلا بأس، فقط وافقي على أن نقرب موعد عقد القرآن.

قالت سعاد ولم تلتفت: سأرى..

عمر بيأس: حسنًا..

ثم تركها وغادر ليباشر عمله هو الآخر.

* *

في مكان ما في أحد ضواحي القاهرة، كان يجلس معاذ في أحد المقاهي يتبادل الحديث مع أحد الرجال قائلًا:

ذهب كل شيء وها أنا ذا أجلس أمامك لا أملك سوى ما أرتدي.

الرجل: في هذا الزمن لا يجب أن يثق أحد بالآخر، حتى الأخ قد يقتل أخاه من أجل المال.

معاذ: أنت لا تعلم شيء، لقد طلبت الطلاق ثم سرقتني وسافرت ووصلني خبر خطبتها، لا أدري ما الذي فعلته لها.. لقد كنت أحبها بصدق.

ضحك الرجل وقال: وهي لم تحبك فقط أحبت مالك، أتعلم لا أشعر بالحزن اتجاهك، بل أن حتى شعور الشفقة لا تستحقه.. فمثلما سمعنا عنك أنك قادم من أرياف وتركت خطيبتك من أجل هذه الفتاة، أحببتها وتركت من أحبتك، فتركتك من كنت تحبها، هي دائرة وتدور بنا، لا أحد يسلم منها.

تذكر معاذ وقال: ذكرتني.. بالطبع سعاد تنتظرني، أعلم أنها لم تسمح لأحد بأن يقترب من قلبها فكانت تحبني أنا فقط.. سأعود علّها تغفر.

الرجل: أصلح الله حالك، ابتعد ألم يكفيك ما سببته لها.

معاذ: وما شأنك أنت.

هبَّ معاذ واقفًا وهو يحمل في جيبة ما تبقى له من بضع ورقات مالية، آخذًا قرار العودة لقريته ولسعاد..

* *

مرت الأيام وسعاد تتعلق بعمر أكثر وتكتشف به جوانب لم ترها من قبل، شعرت بإعجاب نحوه، وقد أخذت عهدًا على نفسها أن تسمح لقلبها أن يحب من جديد، ووافقت على طلب عمر واتفق حمزة مع عمر على موعد عقد القرآن وهو بعد شهرين من الآن، أصبحت تنتظر عمر في كل يوم في المشفى لتطمئن عليه وتقوم لتباشر عملها، أصبحت ترتشف قهوتها بروح، شعرت وكأنها بالفعل دبت الروح في أوصالها من جديد.

وفي يوم ما وأثناء جلوسها وحدها ترتشف قهوتها في قاعة الاستراحة، وكان عمر يختلس بعض النظرات لها، دلف من الباب شخص لم يكن بالحسبان، دلف معاذ بثياب رثه ثم اقترب من سعاد على مرأى من الجميع وقال:

اشتقت لك.. فهل لك أن تغفري؟

رفعت سعاد نظرها له وتأملت حاله التي أصبح عليها، ولم تُعلق بل تركته واقتربت نحو وعمر الذي كان يقف صامتًا يترقب رد فعلها، اقتربت منه وقالت دون أن تنظر له: نسيت أن أعرفك يا معاذ، هذا عمر خطيبي، وسيصبح زوجي بعد شهرين من الآن، عذرًا نسينا أن نرسل لك بطاقة دعوة.

وقف معاذ متصلبًا وقال: ولكن كيف..!

ابتسمت وقالت: تعرف أنني أكره أن أقف على محطات الانتظار، وإن كنت أحببتك فكنت طفلة ساذجة لا تدري شيء، والآن وجدت من يحبني بصدق.. وأحبه.

نظر معاذ إلى عمر وقال: لهذا ابتعدت عني، حتى تنعم بها.

عمر: بل أنت من ابتعدت عن الجميع، بعتنا بأبخس الأثمان، والآن تعود طامعًا أن نشتريك..!

نظر له معاذ بأسى وجر أذيال خيبته وغادر دون أن يتحدث بأي شيء.

نظر لها عمر وقال لها هامسًا: لم أتوقع ردة فعلك.

سعاد: هذا ما كان يجب عليه أن يحدث، هو كان ماضي ولا يمكن له أن يعود، وأنت الحاضر فلا تخذلني.

"في عقد قرانهما"

تألَّقا معا وكأنهما قمرين يسيران على الأرض، تراقص قلب سعاد وكأنه تناسى كل ما مرَّ به، فقط عندما سمعت المأذون يقول: "بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير"

اقترب عمر من سعاد واحتضنها بحرارة أمام مرأى الجميع وقال:

لقد هرمت حتى تصبحين لي.. أحبك.

أعتلى خديها حمرة الخجل ثم هتفت بصوت هامس:

وأنا.. أحبك أيضًا.

طار قلبه فرحًا بسماع هذه الكلمة، وأراد أن يخبرها بالكثير والكثير عما يعتمل صدره، أراد فقط أن تصبح حلاله حتى يتاح له أن يفشي بمكنون قلبه، أخذها بعد عقد القرآن ليتناولا العشاء معًا..

"أن تُحب فتعطي ذلك الحب كُل ما تملك، ثُم يغدو الحب سراب.. وتصبح أنت كما الأشباح بلا روح، مُشتت وتائه.. تكره من هم حولك، لا تبتئس.. ففي تلك الحياة يوجد الكثير من الحب، فقط علينا رفع الغشاء عن قلوبنا قبل أعيننا حتى نراه، ونسمح لأنفسنا بفرصة أخرى"

* * *

ويبقى الحب

سعاد محمد الناصر

العراق بغداد

بعد علاقةِ حبٍ دامت أربع سنوات انقلبت حياتهما فجأةً رأسًا على عقب فقد حماستهُ للحياة والأشياء وزاد صمته لم يعد يحاور زوجتهُ كما اعتاد فاستبد بها قلقٌ عليه بدأ يغيبُ عن البيت ساعات طويلة حتى وقت متأخر من الليل وعندما تسألهُ يجيبها بعدم اكتراث ثملًا كعادتهِ كلَ ليلة، علاقاتهُ الغرامية كانت لعبة غير نزيهة.

وجدت نفسها مُحطمة، مُشتتة الفكر، غاربةٌ عن الذهن، تجلس ُوتمسكُ القلم وسط هذا الحطام وكأنها على قابَ قوسين أو أدنى من الموت، كعاشقٍ أضنى الهوى فؤادهُ، وأحرقَ الحبُ قلبه، كفراشةٍ ضلت الطريق بينَ أفكارٍ لا حصرَ لها، كانت تحتاجُ اليهِ كي يُهديها مشاعر وأحاسيس لتواجه انكسارات الروح.

وفي يومٍ أحسَ بمعاناتها وقالَ لها:

أتودين معرفة ما ألمّ بي؟ على مدى أكثر من شهر وأنا أترددُ في اطلاعك على مشكلتي!

اهتمامكِ بعملكِ وانشغالكِ عني بأمورِ المنزل أخذَ من وقتكِ الكثير مما جعلَ الفجوةَ كبيرةً بيننا.

أحيانًا يحدثُ للغةِ أن تكونَ أجملُ منّا بل نحنُ نتجملُ بالكلمات نختارها كما نختارُ ثيابنا حسب مزاجنا ونياتنا.

فكرت مع نفسها أن تحافظ على مسافة الأمان بينها وبين زوجها حاولت أن تُطبق إحدى الطرقِ الحديثةِ بتجميل عيوبهِ، إنها واثقةٌ أنها ستكسبُ الرهان وتحولهُ إلى فارسِ زمانهِ كانت تفكر بمنطق المعلمة وهو يعلم أن الأنوثةَ إيقاع وأن هذهِ المرأة تُراقصُ روحهُ..

عرضت عليه فكرة السفر إلى خارج القطر لتقرب المسافات وافقَ وحبذَ الفكرة حزّمت الحقائب وتهيئا للسفر ، وعند صعودهم الطائرة أمسكت بذراعه وجلسا جنبًا إلى جنب شعر بسخونة يدها وتلذذ بها صعقهُ الارتخاء والحب الجارف الذي تكنّهُ لهُ ،همسَ في أذنها أحبكِ.

-أتذكرين أيام زمان..

-ذهبت بكل جميل..

-ثم في شبه غمغمة..

-لكن علينا أن نعيش..

-جميل أن يجد الأنسان حبيبًا يقاسمهُ وحدتهُ..

-ما أجمل أن نوضع في متحف جنبًا إلى جنب ولكن عديني أن لا تموتي قبلي

-ما أجمل هذه الصورة النابضة للشباب!

-أحست أنهُ قد تغير تمامًا.

-لماذا يعذب الناس بعضهم البعض، ولماذا يتقدمُ بنا العمر؟

أحست وكأن الأيام تعود بها إلى الوراء، تذكرت العلاقة الحميمية.

-كيف تجدين ما فيَّ وأنكِ تعلمين أنكِ فيَّ؟

-أما أنا فأجدُ كل ما فيك حلوًا لأنَ طعمهُ حلوٌ في قلبي!
وعندما نظر من نافذة الطائرة كان ازدهاء الشفق بألوانهِ كأنهُ صورةٌ جديدة في الخلق عُرضت ليراها أهل الأرض أحسبني على مرمى السهم من جنةٍ في السماء فتحت أبوابها ولاحت أطراف أشجارها.
وعندما أبصركِ أنتِ، أوقن أن الحسنَ المعشوق ما هو إلا منالُ الجنةِ الأخروية ينالهُ من الدنيا انسان في انسان!
كانت تستعجل للوصول حتى أنها فشلت في معرفة طريقة استعمال سماعات الموسيقى وطريقة تغيير الشاشة المقابلة لها التي كانت مثبتة على بث مسار الطائرة والوقت المتبقي للوصول لأنها لم تسافر كثيرًا، وفي هذه الأثناء حدث عطل في الطائرة اهتزت المقاعد مما أدى إلى ذعر الركاب وصراخ الأطفال رغم أنه لم يكن متدينًا غير أنه أكثر من الصلاة بصوت خفيض في البداية وعندما سقطت الطائرة صلى وكأنه يصرخ تمسكت به، شعرت أن هناك أحد يرشدهم
لا تتوقفوا عن التحرك انتشل زوجها طفلًا وأعطاهُ إلى أمه وقالت له علينا الانطلاق همي الوحيد أن أعبرَ الممر، كان الكثير من التدافع حيث لم تعد قادرةً على تجاوز المقاعد رأت امرأة تحمل بين يديها طفلًا تبد ومذعورة، الجميع يتخطاها الأمرُ يُشبهُ البقاء للأقوى، رأت أشخاص يمشون على المقاعد أول مرة تشاهد هذا المنظر أدارت بنظرها إلى الوراء ورأت تلك المرأة تصرخ فكرت قليلًا وقالت إن لم أساعدها فلن أنام بعد الآن عادت اليها ورأت زوجها يقف لمساعدتها في تلك اللحظة حملوها فقد فقدت وعيها بين

يديهم يائسة والدم ينزف من جسدها، ووسط رعب وهلع الركاب وقعت الطائرة في البحر.

قال لها زوجها: اسمعيني اخرجي من هذه الطائرة

كان الناس يتزاحمون أمام الباب تدافعت معهم كالقطيع لم ترَ غير الفوضى كان البرد قارسًا والطائرةُ تغرق ومن الممكن أن يندلع حريق وشعرت بحركةٍ وراءها كان الأمر يُشبه التعثر بالوحل ، كان الماء باردًا وثقيلًا.

قالت له: ماذا أفعل هل أعودُ إلى الجناح ورأى شخصًا يحاول السباحة إلى الساحل قفز بمهارة وخفة وهو يمسك بيدها حاول الإمساك بطرف القارب انتشلها تعثرت وسقطت في الماء ولم تشعر بأطرافها بعد ذلك من شدة البرودة وإلا ستغرق سحبها واحتضنها بيديه، كان الناس يتزاحمون والحل الوحيد هو الوثوب فوق الجناح وبدأ الجميع الصعود الواحد تلو الآخر والطائرة على وشك الغرق ومات عدة أشخاص فنحن بشر ولدينا أحلام وفجأة توقفت هذه الأحلام.

أكثر من التحديق في ما حولهُ أفزعتهُ الظلمة وعتمة البحر لم يشعر بخوائهِ ونقص همته قال: ربنا رحيم دائمًا (وهكذا عادَ إلى آدميتهُ)

كل ما عاناهُ في ليلةٍ باردة تدل منها البراهين أنها كارثة واللهُ رحيمٌ دائمًا ونجا الجميع إلا القليل لقي حتفه، هي مقتنعة أن الأمر معجزة.

وفي طريق عودتهما إلى البيت همسَ في أذنها شعرت بقوة تشدها إليه وقال لها: تمنيت أن أردد على مسامع الواقفين وأصرخ بأعلى صوتي "أحبكِ".

كانت ترتجف وهي تبوح إليه كنبي يوحى إليه، وقوس النهار يتساقطُ على صدرها بانفراج بسمةٍ غسلت وجه البحر وتفرست بوجهه مليًّا

حبيبي: علَّنا لا نفيق..

أجابها: أنا معكِ.

ففي لحظةٍ من العمر تحتاج بشدة أن تسمع هذه الكلمة، إذن لنتقبل ثمرات من نعيش معهم.

بعد مرور تجربةٍ كهذه كانت لهم كالهزة عاد كلٌ منهم إلى وعيه واعترف بخطئه

قال: سأكونُ زوجًا مثاليًّا

قالت: سأكون زوجةً مثاليَّة وأمًّا فاضلة.

ونظر إليها ونظرت إليه فكانت نظرات وقبلات وغفا على مداعبة خصلات شعرها الكستنائي الجميل وفي داخلها ابتسامة رضا بأن تحمد الله ببقاء الحب وديمومته مما زادها عشقًا وتعلقًا به سرحت كثيرًا بخيالها ودمعت عيناها وفي ذهنها صورةٌ واضحة للمستقبل ولكنها لا تستطيع أن ترسمها بالألفاظ.

قالت: الحمد لله إن ما تمطرهُ السماء إجابات للتضرعات والابتهالات والرياح التي مزقت علاقتهم والشرخ الذي كان بينهم رتقتهُ بحكمتها وأدركت أنها كانت مخطئة كل ما كان من رعبٍ وهلعٍ وخوف كانت مفاتيح فرج، هؤلاء هم معشر العشاق يعرفون أينَ المسير ويعرفونَ أينَ يضعون أقدامهم لينتصرَ الحب.

* * *

وانتصرَ الحُب

سعاد محمد الناصر

نشأت في عائلةٍ مترفة حيث كنتُ الأبنةُ البكر لوالدي ووالدتي كانَ أبي يحبني كثيرًا وينفذُ لي كل طلباتي لكنهُ كان لا يريد أن أكمل دراستي سمعتهُ مرةً يقول لأمي: الكل يقول علموا الفتاة وهذبوها وربوها تربية حسنة بكل معنى الكلمة فإن هذه الفتاة تلاحظ عاجلًا أم آجلًا تفوقها على النساء الأخريات.

- ستفسدها يا رجل بدلالكَ المفرط.

وفي يوم دخل أبي وهو يحمل ماكينة خياطة ومعه شابة لطيفة – ابنتي الحبيبة هذه المعلمة تعلمك أصول الخياطة وفن التطريز أصبحت كل ما أخيطُ شيئًا لي أو لأمي أو أطرز الشراشف يشتري لي قطعة ذهب حتى الخلاخل اشتراها لي.

كنت سعيدة بهذه الرعاية الأبوية أنبضُ مشاعر طيبة وأحيانًا ساذجة لم تكن لي تجارب في الحياة فلقد كنت ما زلت في مستهلها فتاة في دور المراهقة (زهرة لم تتفتح بعد) وفي يوم تسللت أشعة الشمس الغاربة أرجوانية دامية من خلال المتسلقات فصبغت الشرفة باللون الأحمر.

أحب إلى نفسي أن أخل وبتلك الشرفة المحببة فأشردُ بذهني في عالمٍ جميل من الأحلام وأعتبرُ ذلك اليوم في حياتي يومًا خطيرًا، رأيتهُ ولاح لي وجهه وقد لوحت الشمس فحولتهُ إلى سُمرةٍ حمراء وافترَ ثغرهُ عن ابتسامةٍ أبدت أسنانهُ بيضاء منظومة تلك الصورة الخاطفة التي اختطفتها عيناي له ومضيتُ تلك الليلة أفكر، أغمضتُ عينيَ وأنا قلقةٌ حائرة بين متعةِ الإحساس الجديد وخوف الخطر المجهول أحس أن ناقوس القلب يدقُ إيذانًا باقتراب الخطر وإيذانًا بميلادٍ جديد.. ميلادُ عاطفة.. ميلادُ قلب وتكررت لقاءاتنا وفي يومٍ دخلَ أبي فجأةً إلى غرفتي فاستشاطَ غضبًا:

- هل هذه الثقة التي منحتكِ إياها؟ سوف ترين الأيام القادمة كيف تكون معاملتكِ وأغلق الباب بعصبية! عرفتُ من خلال محادثتي لهذا الشاب أنه إنسان بسيط يعملُ خياطًا للملابس الرجالية وليس لديه أصدقاء أو معارف، ورغم ذلك تم إصراري على التقدم لخطبتي. وتقدمَ لخطبتي ووافق والدي بدون تردد. _هذا هو اختيارك حتى استغرب الناس! أبي من أعيان البلد يزوج ابنته لهذا الشاب! وتمَّ زفافي وعرفتُ أني مسافرة سأصنعُ منه إنسانًا آخر كما أريد.

سأكونُ بين يديك خادمةً وزوجةً وعشيقة وأكونُ لكَ ما تريد.

سأجلسُ معكِ في قطارٍ واحد هو قطار الحياة ونسافرُ كل ليلةٍ في عالمنا الجميل. حملتُ تاريخي على أكتافي ورضيتُ العيش معهُ. فتفتقت أولى بذور حبي وشغفي الأول والأخير فأصبحَ كل عالمي.. تفتحت براعم أنوثتي في أحضانهِ، اكتشفتُ الحياة عبر تجاربهِ تحولتُ بين أصابعهِ إلى امرأةٍ وأم.

وفجأةً تحولت أحلامنا إلى آلامٍ مزمنة ومشاهد من البكاء والعويل المرسومة بحبر الدموع كان يعاملني امرأة للحمل والإنجاب والبيت فقط. قاسٍ جدًّا بتعاملهِ ولا مبالاتهِ بين الحين والآخر تتعبني. بدأ عملهُ بالتراجع لأن الناس بدأت تميل إلى شراء الألبسةِ الجاهزة، علمًا أن البيت الذي نسكنه قديم جدًّا، أنجبتُ منهُ ثلاثة أولاد. نتيجة معاملتهُ الفظة كنت أتمنى الموت الذي هو إطلاقة الرحمة التي تنقذنا من الصراع غير المتكافئ والحياة المعجونة باللاعدالة والاضطهاد كنتُ أعيشُ ليال موجعة، شعورٌ غريب يملأُ صدري أشبهُ بالخوف، ونتيجة لتردي الوضع المادي للعائلة بدأتُ أبيع ما أهداهُ لي أبي من الذهب كنتُ أهدهدُ الألم وأقتلُ الزمن بحباتِ مخدرٍ قويٍّ اسمهُ الذكريات كنتُ أرسمُ عمرًا قادمًا لأبنائي.

هل أطلقتَ رصاصة النسيان على حبكَ لي؟ أنا مَن حملتُ عينيك وصوتكَ في جعبة ذاكرتي، نظراتك في محجري وكلماتك في أذني. بدأتُ أقلب أوراق الزمن عائدة إلى الماضي، أمضي في طريق العتمة والمجهول من دونِ بوصلة أو خريطة بلا نهاية، محطمة، مشتتة الفكر، غاربة عن الذهن، وأنا ألاحظ أولادي واحتياجاتهم وليس لديَّ القدرة على تلبيتها، أنا لست مذنبة إنما الذنب هو القدر الذي عقد لي الطريق وقلب لي الأوضاع وأساء التدبير أنا لا أخجل من اعترافي بل أطلقهُ يملأ فمي لأعلن براءتي، مَن منا لم يعشق، لم يذق طعم الهوى؟ كلنا عشاق وكلنا عشاق في مهب الريح العاصفة العاتية. كنتُ كلما تضيق بي الحياة وتحاصرني الخيبة ألجأ إلى أقرب لحديث حديقة كي أنصتُ الطبيعة والأشجار إنها مخلوقات مثلنا يبادلوننا المشاعر وفي

داخلي رغبة جامحة للوصول إلى أقرب شجرة لأحتضنها وأستمدُ منها جرعات قوة وصبر للزمن الآتي. أرددُ دائمًا مع نفسي الحياة رحلة وهذه إحدى محطاتها فلنغيرها مترعين بالأمل ورغبة البقاء أمنَي روحي بالأمل وأحررها من اليأس سأقومُ قدري وأغيره كنتُ لا أمارس عبادة الأنا ، قررتُ أن أستغل موهبتي في الخياطة فالعمل مصدر اللذة، لأفكر بعقلٍ سديد قبل أن أعزم على أمر ،كنت لا أراهن على المستقبل كل شيء أبنيه على الحاضر أسعى وراء سعادة أبنائي وتغيرت حياتنا نحو الأفضل فالسعادة هي في التفكير الصحيح كي يكون الإنسان سعيدًا لا بد أن يكون في قلبه من الحزن الدفين. حبي له وتمسكي به هو الذي منحني القوة والصبر والتحمل، لم أندم يومًا على ارتباطي به، وفي يوم جاء وهو يريد أن يقول شيئًا ويتعمد الإبطاء في سرد الحكاية، يدٌ حانية امتدت لتهدئ من روعه وتابعها بصدر دافئ _بالله عليك أفصح عن لسانك الخفي وأرني إيَّاه ولو بكلمةٍ واحدةٍ.

استيقظتُ مما كان فيَ من مصيبةٍ ويا لها من مصيبة! ستنقلني إلى عالم جديد إن شاء الله.

اليوم جاءني زبون لأخيط له بدلة بكى بحرقة استغربت أنت رجل كيف تبكي! في يوم اتصل بي ابني ليخبرني عن نتيجته النهائية أنه الأول على دفعته أجبتهُ اتصل بي في وقت آخر لا وقت لدي، أدمن الولد المخدرات مما أدت به إلى الموت والسبب هو أنا أخذتني دوامة الحياة ولم أسأل عن أبنائي وعن أحوالهم وكانت هذه النتيجة، وبعد ذهابه أصابتني صحوة أين أنا من أبنائي؟ أريد أن أحدثهم، أجلس معهم، أسمعهم يضحكون، يقهقهون

مصطفى في حجرته يتابع دروسه أحمد وضع شعار النوم فوق كل شيء لكثرة متابعته قنوات التلفاز _ باسم مع زملائه يتهيؤون لامتحان الغد وجدت أن حجة الاشتغال ما هي إلا حجة واهية نتخذها لنلتمس الأعذار لأنفسنا ونتخذها ذريعة لعدم التواصل. سأحطم الجدار العازل بيني وبينهم وسأبدأ أنا أحدثهم.

أنا من سلمتكِ مفاتيح جناتي كي تدوسها أقدامكِ.. أنتِ التي صنعتِ مني رجلًا تحدى بخيباته وكسر أطواق دواخله، نذرتُ نفسي ناسكةً لحبك ممسوكةً بذراعكَ.

* * *

الحلم

سعاد محمد الناصر

فقد أمه وهو في الرابعة من عمره رغم صغر سنه تراه ذكيًا، متحدِّثًا، يمتلك ذاكرة قوية أحداث في طفولته لم ينساها، وأثناء حديثه..

يبتسم في نشوة.. نشوة الذكاء!

كلما حاول النوم لا يستطيع في داخله صراخ يمزق جسده.. أمي أريد أن أراها.. تكلم وقد بدت شفتاه ترتعشان..

قال لجدته: دعيني أتحدث إليكِ لأزيح الثقل عن صدري لعلي أرتاح وبعد ذلك أستطيع أن أنام..

لماذا تركتني أمي وأنا في هذه السن الصغيرة؟

لماذا حرمتني من حقي فيها؟

كانت تراقب بنفسها مواعيد تناول طعامي ثم تجلس معي إلى أن أفرغ منه، تدخل معي إلى الحمام وتغسلني بيديها، تشتري لي ثيابي، تقيم الليل بجانب فراشي إذا مرضت، تروي لي دائمًا..

كتب الأطفال لتروي منها القصص، كانت كل صباح تجلسني على متكأ عالٍ لتلبسني ملابس المدرسة، كانت أمي صوتًا حانيًا وشجيًّا

لم أتوقف مطلقًا عن تذكر ملامحها من وقت لآخر.. أقارن وجهي بوجهها كلما نظرت إلى المرآة لأن الجميع يقول لي إنكَ تُشبهها

أريد أن تراني بنم وجسدي وبيفاعتي وبتحولي إلى كائن مختلف..

تغيرت نبرتي في الكلام، تغير صوتي، عرفت حينها أني غادرت طفولتي..

كبرت وسط هذا العالم المليء بالأحداث مجتمع غارق في تقاليده وعاداته التخبط في تناقضاته..

أول ما تفتح لي إحساس أني تعديت مرحلة الطفولة أنه ليس لي في الحياة إلا أبي وهو مثلي الأعلى في الرجال بجده ووقاره، وعندما تقدم بي العمر وأصبحتُ في الرابعة عشر من عمري كنت أضع بيني وبين زوجة أبي حجابًا وكانَ لديّ نوع من الأنانية، أريدُ أبي لي فقط، أحبهُ وأعتبرُ نفسي مسؤولًا عن سعادته إلى حد أني أخفيتُ عنه كل آلامي وحيرتي، كانت هناك أشياء تؤلمني وأحتاج أن أخرج عنها بالشكوى هناك مظاهر في الحياة تصادفني أحتاج أحد أن يرشدني إلى حقيقتها كأي شاب تغييرات جسمانية تمر بي ولا أفهمها.. ومرت أيام وأنا في ارتباكي أغلق على نفسي الباب وأبكي ثم أجفف دموعي وأضعُ ابتسامة بين شفتي وأخرج من الغرفة لملاقاة والدي..

تعودت الصمت حينما أجلس مع أبي وزوجة أبي أحبها وإن كان حبًّا فيه الكثير من التحفظ فأكثر الوقت أقضيه مع إخوتي منها، زهور يانعه ينتشرون في البيت..

جدتي: أنا لم أفقد ينبوع الحنان والرحمة والغفران والصدر الذي أسند إليه رأسي واليد التي تباركني وتحرسني، كل ذلك وجدته فيكِ وفي زوجة أبي..

وفي صباح يوم يتوزع على مُحياه الورد والزنبق والفجر يبتسمُ على شفتيه ، وهما يتساقطان الحديث حيث كان دأبه وديدنه أن يتكلم عن أمه..

وأخيرًا جدتي تحقق حُلمي والتقيت بأمي في أجمل أحلامي

الجدة: إحساس جميل يهز المشاعر

بدا وجهه مُشرقًا وعيناه تسطعان فرحًا وزهوًا ذهب ليغسل وجهه قائلًا لها بمرح:

كي أنشط وأصح وتمامًا

سمعتُ يا جدتي أجمل كلام وأرشق عبارة يجري على لسان حلو ,

كلام فيه أجمل آيات الثناء وتُحليهِ بدرر الاطراء..

زوجة أبيك قد حلّت بقدومها السعيد ستكون في ذمتها تغدقكَ بالعطف والحنان وبنفس راضية مرضيّة وأخوة هم سند لك..

أتمنى لك أينما حلّلت كل ما تتمناه يتحقق..

قال: رباه ما أطيب هذه المكافأة وما أجمله من حُلم..

* * *

صمتُ الأسئلة

سعاد محمد الناصر

موضوع هذه القصة يطاردني وحده ذلك الرجل يعنيني كل خطوه أدت به إلى الهدف الذي حدده لها، خرج وهو يكاد يقفز في مشيته من الفرح، وانفرجت أسارير وجهه والتمعت في عينيه فرحته بنفسه، يمتلك الذكاء والدهاء بنفس الوقت، أهم ميزة في هذا الذكاء إنه يحدد ما يريد، لم يكن يحس بشيء اسمه الحب، كتومًا لم يطلع أحد على سره، في لحظة تراه يغير مبادئه، أصدقاءه، عواطفه، صريح لحد يجرح الآخرين بصراحته، لديه فلسفة خاصة بحياته، يستهجن كل ما حوله، هو الصح والآخرون هم الخطأ، يريد أن يصلح العالم كله..

أحب بطريقته الخاصة أحب ندى وهي لا زالت في المرحلة الإعدادية رآها وهي خارجة من المدرسة نظر إلى ساقيها الملفوفتين وجسدها المحشور وشفتيها المكتنزتين وسار وراءها أصبح ينتظرها كل يوم صدر عنها في وقتها حركة عفوية أرادته من خلالها أن يشعر بها وأن يلتفت إليها، منحها نظرة مميزة وهي من جانبها لم تخطئ شعرت أنه من النوع الذي يحب النظر إلى النساء.. أخذت تراه كل صباح كانت تتابعه بنظراتها لم تكن تعلم أن هذه النظرات العابثة ستقودها في يوم من الأيام إلى أن تحبه هذا الحب..

حلم كثيرًا أن يلتقي بها أن يدخل حبًّا إلى دهاليز قلبها يتحدث معها حد الثرثرة..

وبعد عدة لقاءات اتفقا على الزواج..

كل مره تكتشف شيئًا جديدًا قد خبأهُ عنها لا تعرف لماذا وما هو السر في حياته؟!

قالت: أنا امراة خرجت من العشيرة أحبتك بصدق وغامرت بكل شيء من أجلك، كنت أعيش في فقر لا يمكنك أن تتخيله أعيش في حجرة ليس فيها حتى سرير ومرآة صغيرة بالكاد أرى من خلالها وجهي وأم بسيطة متواضعة تخاف من أبي لغضبه الدائم وعصبيته لا أنس لديه إلا زجاجة النبيذ الممتلئة على مائدة المطبخ.

كان طاغيه يلهو بمقصلة اللغة دائمًا ذكي بسؤاله كيف أنتِ؟

سافرَ وتركها لكي يكرر هذا السؤال!

كيف أنتِ بدوني أنا؟

أسئلة لُغوية مُنتقاة بعناية فائقة..

تذكرت كيف كانت تتعامل معه، تذكرت حماقاته السابقة التي غفرتها له وخيبات صغيرة صنعت جرحًا كبيرًا.. أحست بهزيمتها..

ابتسامته الغائبة.. صمته.. كان لغته الأخرى، كان يواصل بها الحديث إلى نفسه لا إلى الآخرين حينما خلت إلى نفسها لا تريد أن تصدق أنه قد تخلى عنها إنها مأساة الحب الكبير الذي عاشت لأجله..

طيلة هذه السنين، أيعقل أن يكون حبها قد مات شعرت بالرغبة إلى أن تبكي.. أمور كثيرة لم تدركها بعد..

دخلوا الفصل الأخير من قصة وصلت إلى النهاية..
وبعد مرور فترة من سفره كانت لديه شهوة جارفة للكتابة كتب لها رسالة:
ونحن في خريف العمر أشعر بأنك أجمل مما كنت، في ربيع العمر أشعر بأنني بحاجه إليكِ، فلم يبق من العمر إلا ثمالة أيام لنطوي الصفحات، ونبدأ بصفحة جديدة نكون لبعضنا أقرب، احتوت رسالته كثيرًا من صمت الأسئلة وكأنه يدخل مغامرة على قدر من الغرابة..
أحسستُ بغربه لا أستطيع العيش بدونكِ..
من خلال كلماته كان بداخله شوق إليها تبين أنه باذخ الحزن لاستعادة حبها فمهما يبتعد العشاق عن بعضهم يبقى في سرائرهم اللقاء الأول ويتذكرون جمالية ذلك اللقاء..
في لحظة تحس أنه غريب ضائع كل هذا لأنه وضع نفسه داخل روتين لعين يقتل النفس ويخنق القدرة على التفكير والتجديد والابتكار، لو كان يعرف الحب لما عاش هذا الملل فالحب هو السلاح الوحيد الذي يستطيع أن يحمله كل رجل وامرأة..
ولا شيء يقضي على عزلة النفس وقسوة الحياة سوى الحب نحمله في صدورنا للناس كل الناس..
ما عادَ قلبها يرقصُ فرحًا بذكراه وبقي في القلب وجعًا ما عادت تعشقه..

* * *

غربة مزدوجة

كانيادارى

في كلّ مرة ترمى بنفسك على حافة الهَاوِيةِ.. تكتشف حِينهَا فقط أنها لم تكن سوى بدايةٍ، نَسْرق فتات الأُمنيات كى نَمْحِى تعَاستنا، هذا كان حالي أنا وفتيات حارتنا، كُنَّا نجْتمعُ حِينَما يَنغمس المساءُ في ذيل النّهار، كُنَّا نخرُج بِسلَالِمِنا الطّويلة، ونصعد نُلمع نجماتِ السّماء.

في حينِ أنتظرُهنَّ على الشرفة، وقد سكبتُ كثيرًا من فناجينِ القهوةِ، إعدادًا لسهرةِ المسَاء.

لأسردَ لهنَّ قِصصا عن النّجمةِ صديقة القمر، التي تجاورُهُ دائمًا في ظهورهِ وفي الغياب، وقد اعتَنتْ أُختي بتلميعِها، خِصّيصا لحكايةِ المسَاء.

منذُ ثلاثِ سنواتٍ أنتظِرُهن على الشّرفة بمنزل صغير بتركيا يجمعني أنا والقليل من صديقاتى، مع الكثيرِ من فناجينِ القهوةِ، التي أشربُها وحدي كلّ مساء، من دونِ قصَصٍ وحكاياتٍ؛ فَسَماءُ الغُربةِ بلا نجومٍ، والقمرُ يُطِلُّ كلّ ليلةٍ، وحيدًا مِثلي أنا، لا تجاوِرُهُ ابنةُ عمّهِ، وأُختي لم أَرَهَا منذُ سِتّ سَنَوات!

وأصبحتُ أقضى لَيلى على شاطِئ بالقرب من جسر المضيق بإسطنبول.. قريب أحببته كثيرًا، وَأَروي أُسطُورَتِى عَن قَدَاسةِ الشِّتَاء للطُيُورِ العَابِرةِ.

المَطاعم خَاوِية إلا من العاشقين وراكِبي المَوْج، والزُجاج المطِّل على البحر شف وصار مَرَايا دَواخِلَنا، ها هُنا حبٌّ عابر يقول لي: كَم أُحبك.. كالبحر لأنك أعْمَق من أي شيء.. ولَم يُدْرك أنها أُنُوثتي اليتيمة، وخُطَاي بالغَيم، والغُربةِ.. بالطبع لا أتحمل الغين الثالثة للحب الغريب العابر، يومًا ما ستنضج جدًّا، ستعرف أن الذين أحرقت عمرك ليستضيئوا به ليسوا ممتنين، ولم يطلبوا ذلك لكنك فعلت طوعًا مالم يقدروا أن يفعلوه حتى لأنفسهم وعندما حِلتَ رمادًا رحلوا خوفًا على عيونهم.

أشتاق كثيرًا لصديقتي التي تحب الزغردة كثيرًا، تزغرد بطريقة جميلة كالكروان تطلقها قوية رنّانة تبهجنا كثيرًا حين ننهك ونحن نجمع أسبابًا تنسينا هذا الهرج البئيس الذي يقتات قلوبنا منذ سنوات.

أشتهي طفولَتي كثيرًا، لعبتي حين تضيع مني ولا أعرف هل هي نائمة بمكان غريب أم أغمِضت عيناها حتى لا تعرف طريقي.

وقطة أطعمتها من طبقي ولم تستطع حمله لأولادها صرت ألفُّ طعامها.. بسندويش لتحمله، فخفت أن يأكلوا الورق..

اشتقتُ لخمس دقائق أجمعَها وَأُفَرِّقها كالدومين وفي الأحلام، ووردة قطفتها وجعلتها بكأس مائي أسقيها قطرات حليب لأني أعرفه مفيد..ولما ماتت ظننتني قتلتها ورحت أعترف لأمي..

أما الآن أعمل ممرضة في إحدى المستشفيات، ومسؤولة بالإشراف الليلي على غرفة حفظ الموتى.. ليس هذا مهمًّا فالأهم هي المرأة المجهولة الهوية التي أحضروها غارقة في دمها، ودفعتني لترك عملي، والهجرة لبلد آخر،

سمعتها تطرق الباب.. كانت تترجاني أن أفتح لها؛ كي تذهب لإطعام طفلها الجائع.

كم تمنيت أن تعود مخاوفي هذه ومخاوف أخرى لا تتجاوز قطعة الشوكولا التي وضعتها، بحقيبة أختي الكبيرة فذابت وأفسدت أول رسائل خطيبها إليها، فرُحتُ أتدرب على خَطِّه حتى ألَّفت أول قصائدي.

بالسابق كنت أسرع أصدقائي في سباق الجري الذي كنا نقيمه في ساحة حارتنا عندما كنا صغارًا.. مرت الأيام، وكبرنا وكنت أولهم أيضًا في الحصول على وظيفة، واستقر الحال بالهجرة، وتجهيز منزل الزوجية والوصول إلى قاع المحيط إثر غرق قارب يقل مُهاجرين إلى إحدى الدول الأوروبية.

* * *

ثائر قد يكون الأخير

كانيادارى

احتكر العالم حروف طفولتنا اللاجئة بقسوة، تواطأ مع الفقر وترك الجوع والذل.. الخبز ما نقتاته.

فانصهرت ملامح صبانا ، لسنوات وما بقيَ منا ارتدته الخشونة بكل وقار، كي نحيا دون إهانةٍ للقمة، عيش دون انكسارٍ فائض فقد تزاحمت في أفئدتنا الهزائم.

نختبئ، ننزوي كي لا تلحق بنا مخالب الظلم والحاجة بنا من دولة إلى دولة، كسا الرعب شجاعة شبابنا من فكرة الموت.. الموت جوعًا للحياة!

نفيقُ من هلوسات أحلامنا المترددة بين الجدران كجسد فارغ. –ولقلة حيلتنا– نتبع قلوبنا الغبية ظنًا بأن أعمدة الإنارة ستلوحُ من آخر العرب.

نتحسس أرواحنا في الظلمة، نزحفُ بارتجاف معداتنا الخاوية، علينا حث الخطى فحسب وسنصل..

لم أدرِ أن العالم جحيمٌ مستعرٌ برداء فردوسٍ مُخضَّر؟!

لم أعلم أن حديقة الأزهار بحي السليمانية ستكون مُدججةً بألغام تنسفُ أرواح سوريتنا!

مواسم الربيع توقفت عندي في الخامسة عشرة، واستأنف الخريف رحلة عمري المضنية.

كانت آخر سنةٍ لي من الثانوية حين تركتُ المدرسة وراء ظهري وغصت في غياهب العالم باحثًا عن عمل..

- بمَ سينفعني طفلٌ في الخامسة عشرة؟!

ترددت الجملة هذه على مسمعي كثيرًا، ضعف الحال يُحتِّم علينا القبول بأي وظيفة تُعفينا من مدِّ أيدينا للناس، ويا لمرارة الشعور حين يكون مصير لقمة عيشك بيد بشر..

عيناي ذابلتان وشفتاي متقشفتان من كثرة البحث والتنقل دون وسيلة مواصلات، جسدي هزيلٌ وروحي مهترئة ويائسة تترنحُ بسُكرٍ فقير..

ويغتالني أكثر مشهد من حياتي السابقة، حينما كنت بالسابعة من عمري وهرعت نحو أمي من به ومنزلنا قائلًا:

أمي..أمي لا أرى أخي غالب، حبيبي غالب كان يلعب معي لعبة الموت كي نخيفك وتعطينا قطعة الحلوى، أين غالب أيتها الحبيبة، غالب لم يُجد لعبة الموت، أعتقد أني كنت أشطر منه هههه، رائع سأحصل على ملايين من قطع الحلوى على أدائي المذهل.

لا عليك يا حبيبي غالب سأعطيك نصفها، فنحن شركاء في لعبة الموت اللعينة التي تلهب مشاعر البشر، هل تعلم يا غالب؟، الموت صار صورة، وكلما كان أداء البشر فيها رائعًا مدهشًا، حاز على قطع حلوى أكثر، سأخبر أصدقائي الأطفال أن يتقنوا موتهم بعد الآن.

هكذا قُلت وأنا أبحث عنه وأمي لا ترد.

ولكن يا إلهي أتذكر الآن صورة صديقي محمد الذي كان يلفظ أنفاسه الأخيرة بعد أن قصفوا الغوطة بسلاح غريب يقتل مئات البشر في ثواني قالوا إن اسمه كيماوي، أتذكر محمد والزبد كان يخرج من فمه تماما كالزبد الذي خرج من فمي وأن أمثل دور الموت غرقًا ... كان أداؤه رائعًا لكن أحدًا لم يعره اهتمامًا، تركوا محمد وعشرات الأطفال معه، وهم يختلفون اليوم حول المجرم البارع الذي قتلهم جمعيًا ... أتذكر وائل الذي دفن حيًّا تحت الأنقاض منذ أربع سنوات ولم يستطع أحد إخراجه إلى اليوم، كم أنت بارع يا وائل في لعبة الاختفاء..

ماما ماما، أين محمد، أين وائل سأخبرهما أني كنت أبرع منهما في موتي الأسطوري، أظن أن المتعاطفين معي أعجبهم موتي أكثر من موته أدرت لهم قفاي وجعلت حذائي في وجههم.

ماما ماما، لماذا يحتاج البشر إلى صورة طفل ميت ليعلموا كم هم جبناء..

لم يحزنوا عليَّ هم خافوا أن يلقى أطفالهم الموت المرعب الذي لاقاني، الموت موجع يا أمي، لكنه يوجع الأحياء فقط ... نعم يا أمي أنا طفلك المدلل "ثائر" رأيت ملايين الأمهات والآباء ينظرون إلى صورتي ويجهشون في البكاء ،ويحضنون فلذات أكبادهم خوفًا عليهم وأنا مجرد صورة أمامهم.

كانت الحياة مُصعِّرةً خدها عني ولم تعطي طفلًا أحمقًا مثلي ما يتمناه، لكن يومها اعتقدتُ الحظ حليفي حين التقيت به..ولا أعلم لماذا راودنى هذا المشهد الآن!

المهم كان هذا الرجلٌ في الأربعينيات، مهندم اللبس وتبد وعليه علامات الثراء.. تقدم مني وأنا ملتحفٌ زاوية مطعمٍ أقضمُ كسرة الخبز لترتق معدتي من الأنين!

جلس محاذيًا لي، قدَّم لي كوب شايٍ بالحليب وشطيرة لحمٍ كبيرة.

توجستُ منه بدايةً لن أنكر الأمر.. لكن الجوع تغلب عليَّ.. وانقضَّ بشراهةٍ يأكل كل ما قدمه!

تأملني بصمتٍ حتى فرغتُ من أكلي، ثم بدأ حديثه الموزون وكأنه قد تدرب عليه مئات المرات

أخذتني العزةُ بأن كرامتي لا زالت باقية..أعطاني عنوانًا لمنظمةٍ إنسانية وأخبرني عن الراتب الذي سيكفلونه لي حسب عملي.

قام مغادرًا وهمس لي بترقب:

- استمع لكل ما يقولونه لك ولا ترفض أي شيء كي تضمن مدخولًا مناسبًا لك..

أخرستني الفرحة بانتشاءِ تائهٍ وجد دربه. عرجتُ للمنزل وجهزتُ ملابسي ولم أستطع النوم من شدة تفكيري بأني لن أتذلل لأحد ولن تضطر أمي للعمل خادمةً لدى منزل أي من أولئك المتعجرفين.

حزمتُ ما تبقى من كرامةٍ لدي وأعدتُ ترميمها!

توجهتُ باكرًا في الصباح أسابق تغريد الشمس من الأفق، اشتهيتُ نظرةَ فخرٍ من أبي تُربّتُ على خفقاتي المضطربة.

دمعت عيناي حين مررتُ بجانب مقبرةٍ تحتضن عظامه وحثثتُ الخطى بوجعٍ دفين..

وصلتُ في الوقت المحدد واستقبلني ذاك الرجل.. مرت الساعات الأولى من العمل بأرشيف المكتب.

لم أملّ، كلما تذكرتُ أني مستورٌ في عملٍ كذلك حمدتُ الله واسترسلتُ في عملي برضاءٍ تام.

لم أكن أسأل عن أي شيء كما قال لي ذلك الرجل، لكن القدر شاء بإقحامي في ما لا كنتُ أطاله!

تعثرتُ ووقعتُ أرضًا وتناثرت الملفات بأرضية القبو، هرعتُ أُلملمها خوف أن يراني أحدٌ وأتلقى توبيخًا من رئيسي.. وهنا كانت الفاجعة التي أخرست نبضات قلبي..!"

"شهِقتُ بصمتٍ حين رأيتُ مجموعةً من الناس معصوبةٌ أعينهم ودمائهم تسيحُ في الأرض بغزارة.

كمّمتُ فمي بباطن كفيّ، اصطبغت الدنيا أمامي بالظلام، انكمشتُ على نفسي، رعشةٌ دوت بجسدي وقضضت ضلوعي بشراسة.

ابتلعتُ ريقي، مبتلًّا بعرقي قلَّبتُ صفحات ذاك الملف والملف الآخر والذي يليه..

يا الله، عربد الشيطانُ أمام عينيّ متبجحًا بصفاقة.

أعملُ في منظمةٍ إنسانية لـ

.. لـ قتل البشر!
منظمة إرهابية، كل معلوماتهم تقبعُ بين يديّ، حسابات بنوكهم، عملائهم.. أم على القول مرتزقتهم!
ما بوسع طفلٍ في السابعة عشرة فعله أمام جبروت الصواعق..؟!
عدتُ للمنزل بخمولٍ صاعق، شهيتي للحياة اختنقت، تمنيتُ الموت، كيف الهرب، إلى أين المفر..؟!
ليتني تسربتُ من بين عقارب الزمن وعدتُ لزاوية ذلك المطعم،
أُقسِمُ أني كنت ُسأهنأُ بكسرة الخبز تلك دون اعتراضٍ على شيء..
أماه طفلكِ يتمزقُ ألمًا!
مرَّتِ الأشهر الأولى ببجاحةٍ أمام عينيّ جارفةً معها أرواح أبرياءٍ تلطخت روحي بدمائهم.
كنتُ تلميذًا نجيبًا، أُطيع سادة الشيطان دون النبس ببنت شفاه. حاولتُ مراوغتهم بادئ الأمر بأني طفلٌ لا يفقهُ شيئًا سوى ملء معدته بالطعام، كنتُ أتملَّصُ كلما اقتربتُ من مديرهم كي لا أبوح باسمي كاملًا وأُعرض حياة أسرتي للخطر.
"غالب" هذا الاسم الذى قلته لهم ،أكادُ أكتب أحرف اسمى بصعوبةٍ بالغة، هكذا اوهمتُهم بأني لم أدرس سوى بضعة صفوفٍ ابتدائية وأجدُ الكتابة والقراءة معضلتين كبيرتين.
وحمدا لله أن انطلت عليهم هذه الحيلة ،بل ائتمنوا عليّ بنقل ملفاتهم بالغة السرية مع أحد معاونيهم نحو قبوٍ احتضنت أوراقه صور المئات بل الآلاف من الأرواح التي ذُبِحَت وقُتِلَت دون وجه حق.

الشهر الخامس من عملي القبيح، وضعتُ خطةً داميةً في رأسي.

توجهتُ في الأيام التي تليها ومزقتُ بضع أوراقٍ مهمة من كل ملف، أوراقًا تُثبت إدانة المنظمة في أكثر من مائتي عملٍ إرهابي.

أخفيتُ أخطر معلوماتهم عن حسابات بنوكهم والأشخاص المتورطين معهم.

صنعتُ ملفًا متكاملًا عن تاريخ إنشاءِ المنظمة ودوافعها وغطائها الإنساني الكاذب التي احتمت به..!"

"لم أستطع جمع كافة المعلومات في أسبوعٍ واحد!

كنتُ أفعل هذا كلما سنحت لي الفرصة بهدوءٍ ودون شعور أحد.

لمدة سبعة شهورٍ استفرغتُ فيها جُلَّ طاقتي في التظاهر بالقوة والثبات أمامهم وبداخلي كان يضمرُ شيءٌ كلما غصتُ في عالمهم أكثر.

حين انتهيتُ من كل تجهيزاتي هناك، أدركتُ أنه لا مفر من تنفيذ آخر جزءٍ من خطتي.

كانت حياتي ستكون رهن حكمهم بلا شك وشعرتُ أني لن أحتمل رؤية المزيد من الدم الطاهر تُستباحُ حرمته بلا رحمة ولا شفقة.

جاء يوم عطلتي، جلستُ مع والدتي وأختي بعد أن ابتعت لهم غداءً شهيًّا جنيتُ كل ريالٍ منه بعرق جبيني –في تحَمُّل الدهان بإحدى البنايات المجاورة، بعد انتهاء عملي، وهذا المال فقط ما كنا نأكل منه.

أما مالُ المنظمة لا يقربُ الحلال بصلة آثرتُ أن يكون لنهايتهم فقط..والانتقام لعمران الذى عاش يتيمًا ومات وحيدًا.. بعدما فقد أهله

تحت القصف.. حافيًا لم يجد إلا حذاء بمقاس والده يتقي به قساوة الإسفلت والحجارة وقطع الزجاج التي كانت تنهش قدميه الصغيرتين جائعًا! ما كان يجد ما يطعمه إلا كسرات خبز يسد بها رمقه.. معدمًا! كان يسترزق ببيع القمامة التي كان يودعها كيسه الأسود الذي بقي له في هذه الدنيا.

هو الآن على قارعة الطريق إلى جانب كيس القمامة الأسود الذي ما فارقه وكان أوفى له من كثير من بني البشر.. متحلل الجثة لم يجد من يدفنه أو يشيع جثمانه إلا العراء.. وإلى الخلف قليلًا حذاء ضخم قديم يستحي أن يروي قصة انحطاط أُمة.

أرسلتُ ليلتها رسالةً طويلة لخالي الذي يقطن بالريف "بمنبج" وأوجزتُ له بكل شيءٍ شرط أن لا تعرف أمي، وأختي بشيءٍ حتى لا يتعرضوا للخطر.

ائتمنته على عائلتي بدمعٍ ثخين، ثم أرسلتُ الملف الذي جهزته لعدة جهات أمنية عالية الشأن، قريبًا ستكتشف المنظمة أن الملفات ناقصة وسُتحيطُ بي -دون غيري – أصابع الاتهام، خاصة وأن من يعاونهم بعض الحكام العرب ،والعار أسقط من فمي أسماءهم الآن!

انبلج فجرٌ جديد وبزغت نهايةٌ موشِكة لوحوشٍ بشرية ضارية، وانتهت عند مأذنة صلاة الفجر حياة طفلٍ كان اسمه " ثائر." .

كتبت سيرتى الأولى كأطلالِ قلعة ضائعة بين زئير أفاعٍ ظنُّوا أنهم أسودٌ في غابةٍ مظلمة..أغلب حيواناتها برعاية العرب!"

* * *

الراء التي خطفها القدر

كانيادارى

الحب قد يكون معدوم الحيلة؛ لكنه قد يبلغ مبلغًا يحرك الجبال..

المشكلة تكمن في أولئك الذين يحدّقون في العتمة طويلًا.

بالطبع لن يروا أمامهم سوى ما يتوهّمون من الخيالات..

ربما تدخل القدر بين هو/هي خطف الراء ليحيل (الحب) إلى (الحرب(!

الكلمتان تقبعان عند الدرجة القصوى من العمق، والدسامة..والتدمير أحيانًا فهي تحمل نفسًا شديدة الوعورة!

وه ومليء بالعراقيل التي خضع لها منذ الصغر إلى حد قد يستطيع استيعابه أولًا.

هو ليس كالقوالب..التي تعتقدها.

وهي لا تنطبق عليها القواعد التي يعتقد بها!

وكما أنه لا يمكن استيعابه..

هي لا يمكن أن تختصرها..

فكل منهما يحمل كثير من الخيبات والانتصارات.. يرتدي دروعه وأوسمته.. ويواري جراحاته وندوبه!

إضافة إلى ذاكرة مكتظة بالخسارات والإنجازات..

وكل منهما يرتدي أقنعته وألقابه.. ويجتهد في إخفاء مواطن هشاشته..

هي تريده.. فتخاف.. فتبعده!

وه ويريدها.. فيخاف.. فيبتعد!

في هذا الصراع الصاخب بينهما تصاحبه التفاعلات.. والمخبوءات..

تنفجر الأحاديث بالتأويل.. والتلوين.. والتذاكي.. والمراوغة..

حيث الكلمات ملغومة شديدة الالتواء!

مفخمة بالأماني وسيوف الظنون..

هناك تتشابك السيوف.. وتتعانق القلوب!

تتطاير أشلاؤهما.. من حيث أراد كل منهما أن يعيد تجميع ذاته بالآخر.

هناك حيث ما كانت لتصبح أجمل الحكايات.. تبني أقسى الأوجاع.

كعنصرين بالغي النشاط.. إن تفاعلا.. ربما انمحت قطع من الأرض!

ومحاولة كل منهما التذاكي على الآخر..فتغابوا فسقطوا عن الحب..وصاروا متنافرين.. وكأن الحياة تدفع كل منهما نحو عنصر آخر خامل.. (الجرح)

* * *

للموت وجه منّي

كانيادارى

أريد أن تُغمَّ بعض الفوضى المقيتة داخلي حتى أتمكن من التخلُّص منها..!

أريدني ميتة.. لا يهُم كيف ولا تسألوني لماذا..!

لكي أهدي على قبرهما كل صباح قبلة..!

وحدها سكاكين الذكرى تنخر في جسدي كحبل غليظ إن أُوْثِق؛ استسلمت الحياة، حجارة الأزقة تعصف بتفاصيل قتلها اعلان الموت المحتم.

كنّا ثلاثة؛ سمراء صغيرة بضفيرة من ليل، وأخرى الفرح يتنفس من وجنتيها الذابلة بمنديل أحمر يُعانق زحام البثور في صفحة الوجه الخَجِل، وأنا بعطرٍ ثقيل وثوبي الأزرق الذي لبثت فيه خطوات تسع متوارثة حين كُنَّ في نفس عمري.

تمنيت أنتحل الدَرَج الممتد في عرض الشارع،ومرت اللحظات ثقيلة أثقل من الحجر، يشدنا منها الدفء إلى خلايا البلاط صيفًا شتاءً لنطرز الحكايات؛ نبكي فتتحول الشجرة إلى مقاعد كالمهد، وحين نفرح تُساقِط رُطَبًا جنيًّا.

ذات الشعر الطويل تخطف المنديل الأحمر فتبيض عيناي وتبدأ فوضى التنكر بأصوات لا تُشبهنا؛ ثمة ثقب أتلصص به عليهما، أحاول أن أُمسك بهما وتبقى دوامة اللحاق الفاشل حتى أتعرقل بفستاني الطويل بتهمة عطر.

في خريف بائس حضنت وسادتي الفارغة وغطست في بحر همٍّ لأنقذ إخوتي، بعدما توقف أبي وأمي في وجه القذيفة.
عايدة في مكانها المعتاد تنثر الذبول إلى صفحة الحياة حين تُصلّي، أما راما فقد خلعت نظارتها العريضة سارت دونها سرعان تلحق رنين طائرة بلا طيّار يزعق بهما ضحايا حرب.
منذ رحيلهما المُدّوي، نبذت الحياة وهاجرت قسرًا أرضًا لا تشبهني، الرعب يبصق سُمّه في ثنايا وحدتي، أوجس العطر موتًا دونهما.
كان حلمي (الذي لن أتجرأ على النطق به)يتحقق في جثتيهما.
كنت بعيدة عندما كان أبي ممدَّدًا على رصيف الموت.. وعدت إلى أمي بعد فوات الأوان.. انهرت تمامًا وأنا أنظر إلى سريرهما الخالي.. قال لي أحدهم وهو يربّت على كتفي، إنه كان دائم النظر إلى صورتي المعلقة على الحائط.. قررت الذهاب إلى ساحة المقابر.. وبينما كنت واقفة أمام مقبرتهما، جاءني حارس المكان يتكئ على عصاه، وبادرني قائلًا وهو يمد يده بمفتاح يتدلى من سلسلة: "تركها لك ويريدك أن تعلقيها في رقبتك".
من يُفهم الآخرين بأنَّ غُصُونَ الذكرى تتشابك في المرأة، وتتعانق بداخلها بقايا الندى بالصدى القُرمزي وأغنية بأصابع المخيم؟
من يُفهم الحالمين بأن الحكاية طينٌ لأقدام من عبروا هنا؟!
أجابني أبي، وأُمي هذا المساء.

* * *

العرس الجنائزي

كانيادارى

نشج الليل بعيني في هذا المساء، وبكى..كيف يبكي مَن مِن الدَّمع غرق؟!

هكذا تمتم للحظات أمامى، كان لأول مرة يحضر زفاف أحد أصدقائه، وهو يزف محمولًا فوق الأعناق، دموع والدة العريس لا تتوقف، لقد شاهد أعراسًا كثيرة لكن هذا لأول صديق.

الأسلحة النارية ترفع في الهواء من قبل من يملكها من أصدقائه وغير أصدقائه، من يعرفه ومن لا يعرفه، الرصاصات تنطلق، تشق الهواء وتصم الآذان، ورائحة البارود تجعل الأدمغة تغلي.

الجميع يتزاحمون ليحملوا العريس، لكن لن يستطيع أحد أن يحرك حامليه ويجعلهم يتركون أماكنهم.

المشوار طويل، والعروس تنتظر، وتعرف أنه لن يكون الزفاف الأخير، فسيعقبه زفاف وزفاف، ثم زفاف وزفاف وهكذا.

الأكتاف المتدافعة نحته بعيدًا عن صديقه، لقد فرق بينهما العرس، أقسم في هذه اللحظة أن العرس كما فرقهما لابد أن يجمعهما عرس آخر.

إنه عرس الليل قسيم النهار يرعى الجوار في غيبته، ويروي ظمأ الغياب من لذيذ جرْأته، كلاهما يطيح شيخه حبًّا ويمشي على حد سنته.

عاد إلى بيته وظل جالسًا طوال الليل، وقبل أن يأوي لفراشه شاهد العرس في التلفاز، لكنه لم يرَ نفسه في الموجودين فيبد وأنه ابتعد عن الصورة.
فكر في ليلته كيف يكون عريسًا؟، لكن لن يسمح له والده بذلك فه ومازال صغيرًا.
هزَّ زوْجته ابنة عمه وحب طفولته، فبدت صامتة وكأنها لا تراه، وإلى جوارها طفل هو ليس ابنه، كان حلمهما معًا.
فجلس يترقب عائلته على الفطور، الجميع صامتون وهم يتناولون لقيماتهم القليلة، والده يدعي الطعام حتى يأكل أولاده وكذلك الأم.
هو الوحيد الذي لا ترتد عيناه إلى المائدة فقد أخذ يتصفح وجوه الجميع، والدته ذات القسمات الطيبة، التي لا تتكلم إلا قليلًا، ووالده برغم قسوة ملامحه، واقتضاب جبينه، وحدته أحيانًا، إلا أنه يعرف أنه طيب القلب، واخوته.. لم يترك أحدًا إلا تفحصه، وقد أخذ يفكر.. ما وقع الخبر على مسامعهم؟! لا يهم، فقد تدبر الأمر.
خرج متجهًا إلى مكان اللقاء، لا يملك سوى أجرة ذهابه، نظر إلى البيت، من بعيد، ثم سار، ثم أخذ يلتفت وهو سائر ليرى والدته تقف أمام البيت فيلوح لها وهو سائر بظهره فتلوح له وهي تبتسم.
اغتال الملل، خذل الموت وغطى وجهه ثم خرج دون أن أفتح الباب، وإذا بشارعنا مُلَوَّنٌ بكل ألوان الحياة.. كلها!
وجد أقرانه يتوارون ويترقبون، "هل سيكون بينكم عريس قبلي؟! لا.. لن يحدث هذا "

هكذا قال في نفسه وهو يقترب ثم فرد ذراعه عن أخرى الهواء ثم انحنى إلى الجنب واندفع إلى الأمام بنصف جسده العلوي كأمهر رامٍ.
وقال في نفسه "كلما وقفت أمامهم خانتني ذاكرتي.
أتذكر أني رأيتها من قبل، لكن أين؟
اقتربت أكثر، مددت يدي كذلك فعلت..
تصدعت ملامحي "
ولم يجد أمامه إلا ذلك الشبح الذى رآه جاثمًا على الجدران حزينًا دائمًا، وكأنه قد عاد إلى شبابه يرقص من سكتةٍ غبيةٍ طرحته أرضًا لنصف قرن.
عاد اليوم يذكرهُ (بمشهدين لعناق شمسين) تتصافحان في فضاء واحد..وفى آن واحد، لكن في اتجاهين متعاكسين. وحاول جاهدًا أن يحكى لمن حوله، فنعتوه بالجنون.
ولم يقطع حديثهما إلا عندما حمله أصدقاؤه على الأعناق، الأعيرة النارية تنطلق، الزفاف يتحرك إلى إقامته الجديدة، ووالدته تبكي، ووجد من زف قبله ينتظرونه في ملابسهم البيضاء وقد بشت وجوههم، أنزلوه من على أكتافهم، ثم أدخلوه في مكان إقامته الجديد الذي كتب عليه من الناحية الأخرى الشهيد!
إنه الحزن المبتسم عندما تلفظ كلماتك وآمالك أنفاسها الأخيرة..عندما تُقْرأ فاتحتك للفرح والموت معًا، عندما يتبخر حلمك معك وحبك في دمعة خفية من الفرح والفراق لتهرب مع الروح.

* * *

عطر الأسر

أمل السيد النجار

المقدمة

أحيانًا نعلق قلوبنا بغير الله؛ ولا ندرك أن حينما يريد الله سوف يهيئ الظروف ويخلق الأسباب والمسببات، وسوف يلهم العقول وسوف يمكن لمن يريد فيما يريد.

فلا توقفي سعادتك على أحد لست متأكدة أنه من نصيبك..

*** ***

في أحد المطاعم بمحافظة القاهرة، تدلف فتاة في منتصف العشرينات، متوسطة الطول، تتميز ببشرتها القمحية وعيونها السوداء الواسعة وجسدها الممشوق، وشعرها الأسود اللامع الذي يغطيه حجابها البسيط الراقي. جلست على الطاولة التي تجلس عليها دائمًا في إحدى زوايا المطعم، بعد مرور بضعة ثوانٍ حتى أتى إليها النادل بفنجان من القهوة كالمعتاد وقال لها بلهجة عملية

"قهوتك عزيزتي"

ابتسمت نصف ابتسامة تقديرًا لهذا الرجل الذي يعاملها كأنها ابنته وقالت له:" شكرًا أستاذ صلاح"

ابتسم لها وقال "لا داعى للشكر هذا واجبي" ثم أكمل في تساؤل "أتريدين شئ آخر؟!".

فردت عليه وقالت باحترام " لا أريد شيئًا الآن شكرًا لك" .

انصرف ليكمل عمله تاركًا إيَّاها ترتشف فنجان القهوة ومن الحين والآخر تنظر إلى باب المطعم كأنها تنتظر وصول أحد ما..

ظلت هكذا حتى مرت نصف ساعة، ظهر على وجهها الحزن، جمعت متعلقاتها الشخصية قبل أن تنصرف.. وسارت ببطء أتجاه البيت على أمل أن يأتي من تنتظره.. ولكن خاب أملها.

ركبت سيارتها وانطلقت إلى مقر عملها. أوقفت سيارتها أمام بوابة مبني المدرسة التي تعمل بها.

نزلت من السيارة وسارت تجاه غرفة المدرسين لترتب أغراضها قبل بداية حصتها الأولى مع الأطفال.

"السلام عليكم ورحمة الله وبركاته" قالتها سلمى وهي تدلف إلى الغرفة.

رد الجميع السلام وقالت إحداهما "كيف حالك سلمى؟"

ردت سلمى والابتسامة لم تتعدى شفتيها "بخير ولله الحمد أستاذة سمية".

نظرت لها نظرة ذات معنى وقالت" : أتمنى ذلك عزيزتي"

سمية: "مدرسة لغة عربية متزوجة ولديها شاب وفتاة، الشاب يصغر سلمى بسنتين والفتاة بثلاثة سنوات، تحب سلمى كثيرًا وتعرف عنها أشياء لم يعرفها والدها نفسه"

قالت لها لتهرب من الحديث معها "بعد إذنك يا أستاذة سمية سأذهب للفصل حتى لا أتأخر على حصتي".

نظرت لها بلوم لأنها تفهمها جيدًا وتعرف أنها تريد أن تهرب من الحديث وقالت لها:

"تفضلي يا ابنتي بالتوفيق؛ سأنتظرك بعد إنهاء اليوم الدراسي.

أومأت برأسها بالموافقة وخرجت من الغرفة.

(سلمى كمال فاخر: خريجة كلية تربية قسم لغة إنجليزية، فتاة متواضعة، تعشق الأطفال؛ لذلك فضلت العمل معهم.. رغم اعتراض والدها على هذه الكلية منذ البداية إلا أنها أصرت عليه.. فهو كان يتمنى أن تصبح طبيبة مثله لتعمل في المشفى الخاص به وتديرها من بعده).

دلفت سلمى إلى داخل الفصل ألقت التحية على الأطفال واستقبلتهم ثم بدأت في شرح درس اليوم.

عقب انتهاء اليوم الدراسي، ذهبت سلمى هي وسمية إلى أحد الكافيهات العامة بعد أن طلبت سمية المشروبات قالت بهدوء:

"ما فائدة ما تفعلينه؟"

تنهدت سلمى وقالت بصوت حزين:

"لا أعرف! ولكن لم أفعل شيئًا محرمًا أو خطأ أبدًا!".

نظرت لها وقالت: "بلى، ولكنكِ علقتي قلبكِ بغير الله وقد حذرتكِ كثيرًا، عليكِ أن لا تجعلي في قلبك أحد سوى الله سبحانه وتعالى، فاجعلي الحب كل الحب لله وحده، طهري قلبكِ واجعليه لله."

نظرت إليها بتساؤل، فتابعت سمية الحديث وقالت عليكِ بالاستغفار كثيرًا، فقال العلماء: يفسد القلب بخمسه أشياء أعظمها تعلق القلب بغير الله، وركوب بحر التمني.

لذا عليكِ أن تجعلي ما في قلبك لله تعالى، فمن أحب أحد سوى الله عُذب به، استغفري وقولي أذكار في كل وقت فالاستغفار يرفع البلاء ويطهر القلب ويمهد أن يدخل الحب في القلب، أدعي في كل صلاتك هذا الدعاء

"اللهم لا تعلق قلبي بما ليس لي واجعل لي فيما أحب نصيبًا وأجعله صالحًا لي"

أو أي دعاء ليس شرطًا أن يكون بصيغة معينة..

ثم قالت لها في تساؤل:

"صليتِ القيام قبل ذلك؟!".

ردت عليها وقالت:

"لا لم أصلِّ قيامًا قط".

تابعت سمية حديثها وقالت "ما رأيك أن تصليها، فهل تعرفي فضل وفوائد هذه الصلاة.

هزت سلمى رأسها بالسلب أنها لم تعرف.

تنحنحت سمية ثم قالت قيام الليل له شأن عظيم عند الله سبحانه وتعالي، أتعلمي فهو أفضل الصلوات عند الله سبحانه وتعالي بعد الصلاة المفروضة "الخمس صلوات".

فالنبي صلى الله عليه وسلم قال "شرف المؤمن قيام الليل" فالليل يورثه الشرف العظيم في الدنيا والآخرة،

وأيضًا قال البعض أن قيام الليل ينور على صاحبه قبرة بعد موته، كما ينور الله وجهه في الدنيا،

وخاصه أهمية القيام في الثلث الأخير من الليل أتعلمي عزيزتي أن الله سبحانه وتعالي ينزل إلى السماء الدنيا ويقول:

"هل من داعٍ فأستجب له، هل من مستغفر فأغفر له"

فدعاؤكِ مستجاب من الله في هذا الوقت بالتحديد، غير أنها لها فوائد كثيرة وعظيمة، أتري عظمة الله سبحانه وتعالى لذلك عليكِ بالصلاة ثم الصلاة وقراءة القرآن والدعاء والاستغفار، وتأكدي أن الله سيستجيب لكِ،

وجددي نيتك دائمًا واجعليها خالصة لوجه الله تعالى.

ولا توقفي سعادتك على أحد، لستِ متأكدة أنه من نصيبك، عودي إلى ضحكتكِ وحياتكِ مرة أخرى ولا تعطي أمل لشيء أصبح غير موجود. نظرت لها بعيون ممتلئة بالدموع وقالت:

"سأحاول، رغم أنني من المستحيل أن أنسى حبه، أتمنى فقط أن أراه من بعيد..

قالت لها سمية بهدوء: "لا يوجد شيء مستحيل عزيزتي"

"ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير".

لا تعلمي فربما يعود يومًا ما ويكون من نصيبكِ، فالصبر مفتاح الفرج، ادعي فقط وقولي ما تحبي واشتكي لله فقط فهو وحده من يستجيب لدعائك.

تنهدت سلمى وقالت:

"كنت أظن مسبقًا أنني لا أحبه وهذا فقط من حديث سمر عنه ومعاملته لها

"سمر صديقة سلمى المقربة وتعتبر أكثر من أختها ولكنها تزوجت وسافرت منذ سنتين مع زوجها وانقطعت الاتصالات بينهم منذ ذلك اليوم".

دائمًا أتمنى رجلًا مثله كنت أعرفه من خطواته ورائحة عطره التي تسبقه ولكني لم أجرؤ يوما على الحديث معه، تأكدت أنني أحبه عندما بعد عني ولا أعرف أين يوجد الآن.. ثم تابعت بحزن والدموع تملأ عينيها دائمًا أتمنى أن تكون والدتي معي أشكوا لها ما يتعبني، أحدثها عن يومي نجلس معًا بالساعات كأي أم وأبنتها.. أتمنى أن تعود ولو للحظة واحدة لأنعم بحضنها الدافئ.. كم أشتاق لها ولحديثها

ونصائحها لي.. أريد أن أنام على رجلها وتمسد بيدها على رأسي وهي تقرأ القرآن كما كانت تفعل عندما كنت صغيرة.. لما ماتت وتركتني وأنا صغيرة.

قاطعتها سمية وقالت بحزن: لا إله الا الله.. استغفري ربك ولا تعترضي على قضائه فهذا يعتبر كفر بالله.

قالت سلمى وهي تبكي: "أستغفر الله العظيم.. لم أقصد أن أعترض على حكم الله.. أستغفرك ربي وأتوب إليك".

تابعت سمية حديثها وقالت: كلما شعرتِ أنكِ تشتاقين لوالدتكِ أو أتت ببالكِ ادع لها بالرحمة والمغفرة واقرأي جزءًا من القرآن واهديها ثوابه، أو حددي ورد يومي من القرآن لوالدتك واستغفري كثيرًا لها.. صدقيني سوف تشعري براحة شديدة..

ابتسمت لها سلمى من بين دموعها وقالت:

"سوف أفعل كل ما حدثتيني به إن شاء الله".

قالت لها سمية: إن شاء الله، هيا بنا حتى لا نتأخر أكثر من ذلك.

قالت لها سلمى بشكر: "شكرًا لكِ كثيرًا، تأخرتِ اليوم كثيرًا بسبي أنا آسفة فعلًا".

ابتسمت لها بحب وقالت: "لا عليكِ عزيزتي، هذا واجبي عليكِ أنتِ مثل ابنتي"

خرجت كلًّا منهما.. أوصلت سلمى سمية إلى منزلها ثم اتجهت إلى منزلها.

"سلمى"

كان هذا صوت والدها عندما رآها تذهب إلى غرفتها.

ردت سلمى وهي تعود لتقف أمام والدها: "نعم أبي، ماذا هناك؟".

قال بحب: "لا شيء حبيبتي ثم تابع بقلق عندما رأي عينها المنتفخة "ما بكِ؟!.

ردت عليه بهدوء: "اهدأ أبي لا داعي للقلق لا يوجد شيء"

تنهد والدها وقال: "لن أضغط عليكِ الآن ولكن عندما تريدي أن تتحدثي معي فأنا موجود دائمًا بجانبك، هيا الآن لنأكل سويًّا".

أومأت برأسها بالموافقة وسارت مع والدها إلى المائدة ليتناولا الطعام معًا، ثم قضت مع والدها بعض الوقت قبل أن يذهب إلى عمله مره أخرى.

ذهبت سلمى إلى غرفتها بعد أن خرج والدها "رغم أن والدها كان قريب منها ولكن بعد أن توفت والدتها أصبحا غرباء يسكنان في منزل واحد، فهو يظل في عمله كثيرًا لعله ينسيه رفيقة دربه، ونسي أن لابنته عليه حق".

فرشت سجادة صلاتها وصلت فروضها ثم ظلت تدعوا إلى الله وتشكو له كل ما في قلبها.. وعندما انتهت فتحت التلفاز وعن طريق المصادفة كانت خطبة عن التعلق بالله ومن ضمن كلمات الخطبة هذه القصة:

جلس رجلان قد ذهب بصرهما على طريق أم جعفر زبيدة بالعباسية لمعرفتهما بكرمها.

فكان أحدهما يقول: اللهم ارزقني من فضلك..

وكان الآخر يقول: اللهم ارزقني من فضل أم جعفر.

وكانت أم جعفر تعلم ذلك منهما وتسمع، فكانت ترسل لمن طلب فضل الله درهمين، ولمن طلب فضلها دجاجة مشوية في جوفها عشرة دنانير.

وكان صاحب الدجاجة يبيع دجاجته لصاحب الدرهمين، بدرهمين كل يوم، وهو لا يعلم ما في جوفها من دنانير.

وأقام على ذلك عشرة أيام متوالية، ثم أقبلت أم جعفر عليهما،

وقالت لطالب فضلها: أما أغناك فضلنا؟

قال: وما هو؟

قالت: مائة دينار في عشرة أيام،

قال: لا، بل دجاجة كنت أبيعها لصاحبي بدرهمين.

فقالت: هذا طلب من فضلنا فحرمه الله، وهذا طلب من فضل الله فأعطاه الله وأغناه.

يقول الشيخ عبد الحميد كشك رحمه الله:

من اعتمد على غير الله ذل،

ومن اعتمد على غير الله قل.

ومن اعتمد على غير الله ضل.

ومن اعتمد على غير الله مل.

ومن اعتمد على الله فلا ذل ولا قل ولا ضل ولا مل..

بعد مرور ثلاثة أشهر..

تغيرت سلمى كثيرًا أصبحت أقرب إلى الله تعالى ولكنها رغم ذلك لم تنس حبها أبدًا ودائمًا تدعوا الله أن يجعله من نصيبها وإن لم يكن من نصيبها فليخرج حبه من قلبها، أصبحت تتردد على المطعم أوقات قليلة ليس ككل يوم كما

كان يحدث مسبقًا، واستمعت إلى نصائح سمية لها والآن هي منتظمة في صلاة القيام كل يوم منذ أن حدثتها.. بدأت صلاه القيام بركعتين فقط والآن هي تصلي إحدى عشرة ركعة، تشعر براحة شديدة عندما تنتهي، وتقرأ كثيرًا من القرآن الكريم وتهدي ثوابه لوالدتها كلما اشتاقت لها.

في صباح يوم كأي صباح عندما دلفت إلى المطعم وجلست على الطاولة المعتادة.. تناولت فطورها وبعد أن انتهت طلبت قهوتها كانت ترتشفها ببطء.. لم يمض وقت كثير حتى استنشقت رائحة عطر..

نعم إنه عطره هو!

عطره هو فهي لم تخطئ أبدًا في عطره..

تستطيع أن تميز عطره بسهوله، فعطره ساحر، ودائمًا يصل رائحته قبله كأنه يحمل البشرى لها بقدومه عليها.. خافت أن ترفع رأسها وتنظر إلى مصدره، لعله وهم من خيالها ولكن عندما استمعت إلى خطواته.. رفعت رأسها في سرعة.

نعم إنه هو! ولكن أصبح أكثر رقيًّا ووسامة.. عادت الابتسامة تشق طريقها إلى شفتيها.. ابتسمت بسعادة وراحة كبيرة.. ها أخيرًا عاد مجددًا.

شعرت بتوتر يغزو كيانها عندما رأته يتأمل ملامحها وينظر إليها، ويبتسم لها. ردت له الابتسامة.

وبعد مرور بعض الوقت لا يحدث شيء سوى نظرات إلى بعضهما البعض، اعتدلت واقفة وجمعت متعلقاتها لتذهب إلى عملها ولكن ذاهبة اليوم بوجه مشرق وابتسامة لا تفارق شفتيها.

عندما ذهبت إلى المدرسة قصت لسمية ما رأته اليوم.. فنهتها ألَّا تعود إلى الخلف مرة أخرى.

عندما رآها تخرج من باب المطعم ترك بعض النقود على الطاولة وخرج عازمًا على تكرار طلبها من والدها مره أخرى.

"آسر عبد الحكيم: شاب في بداية الثلاثينيات يمتلك شركة للتجارة، كان منذ خمسة سنوات لا يملك أي شيء سوى وظيفة محاسب في إحدى البنوك، تقدم لسلمى سابقًا ولكن والدها رفض لأنه كان لا يوجد لديه شقه أو أي شيء سوى راتبه الصغير.. استطاع أن يجد وظيفة في إحدى الشركات بالخارج وسافر فورًا لأنها تعتبر فرصته الوحيدة ليثبت نفسه ويستطيع أن يعيش حياة كريمة ويستحق أن يحصل على حبه، استطاع في فترة قصيرة أن يثبت نفسه حتى ترقى أكثر من مرة وكان محبوبًا من زملائه، ومديره في العمل كان يثق به بشده.. استطاع من خلال صديق له في القاهرة أن يشتري شركة صغيرة له وعاد مرة أخرى ليحقق أحلامه في بلده".

بعد أن قابل آسر والد سلمى خرج وعلى وجهه ابتسامة شديدة تدل على فرحه بعد أن أتفق مع والدها على كل شيء يريده.. ذهب إلى شركته لينهي عمله ويرتب ليوم الغد.

عادت سلمى من العمل وهي حزينة بسبب كلمات سمية لها، ذهبت إلى غرفتها وظلت تشكو وتدعو الله وتناجيه.

في صباح يوم جديد ذهبت سلمى إلى العمل وهي عازمة أن لا تذهب إلى هذا المكان مجددًا حتى لا تراه وتتعلق به أكثر، عندما أخبرت سمية ما قررته وجدتها مبتسمة وقالت لها:

"إنه يوجد اليوم حفلة لأحد الزملاء في أحد الكافيهات المطلة على النيل سيذهبوا جميعا بعد العمل"

رفضت سلمى في بداية الأمر ولكنها وافقت في النهاية تحت إصرار سمية لها.

عقب انتهاء اليوم الدراسي ذهبت سلمى مع سمية إلى الكافيه.. وجدت سلمى المكان مزين بشكل جميل جدًّا جذاب فكان من بداية الممر إلى الداخل مليء بالورود والبالونات والأضواء، وعندما دلفوا إلى داخل الكافيه كان مظلم وبدأت الإضاءة تنير عليها وعلى مكان آخر في نهاية الكافيه وشخص يغني أغنية تتجوزيني وهو يتقدم منها..

وعندما اكتملت الإضاءة رأته هو..

نعم إنه آسر..

رأت والدها أيضًا وبعض الأقارب، لم تستوعب بعد ما يحدث أمامها.

انحنى آسر وجلس على ركبته وفتح صندوقًا صغيرًا جدًّا من القطيفة وقال لها :

"تتجوزيني؟"

امتلأت عيناها بالدموع غير مصدقة ما يحدث الآن أهو حقيقة أم خيال.

قال آسر عندما رآها تبكي: "لا أريد أن أرى دموعك صدقيني إنها أكثر شيء يؤلمني أن أرى دموعك وأكون أنا سببها.

ثم تابع حديثه:

"تقبلي أن تكوني زوجتي وأم أولادي، وأن تكملي حياتك معي، وتكوني أميرتي وملكة قلبي، تقبلي أن نكون معًا في الشقاء قبل السعادة، وأن نعين بعضنا البعض على طاعه الله ورسوله، تتزوجيني؟.

نظرت إلى والدها فرأته مبتسمًا لها وأومأ برأسه دليل على موافقته.

ابتسمت من بين دموعها وقالت :

"موافقة "

موافقة أن أكمل باقي حياتي معك، وأن تكون زوجي، وكل شيء لي.

ألبسها آسر الخاتم في فرحة عارمة.

وصفق كل من في المكان لهما بحرارة وكان الجميع سعداء وخاصه آسر وسلمى.

وأخيرًا أنعم الله عليها بمن تحب.

* * *

حبةِ حُب

لمياء زكي

الحُب هالة من المشاعر تأتي دون سابقة ميعاد، تكسو صاحبها ينابيع العشق مغلفة بترانيم الطرب العذب، حالة غرق يَصعُب النجاة منها ولا سبيل إلا على شاطئ العاشقين ترسو السفينة وعليها الناجي ومن ناجاه ويلتقي في حضرة الحُب، الحُب مطر يروي جفاف القلب هو تسابيح الزاهدين في حضرة العشق

عندما يعم الهدوء، ويرخي الليل سداله، وتتعانق الماء مع القمر يذهب خيالها إلى تفاصيل ملامح حبيبها، تزداد شوقًا له ويغمرها شلالات الاشتياق له فتقول بهمسات المحبين :

أدركت معه حبة حُب كقطرة الندى في حضن الغصن كوجود الشجرة في قلب الأرض بخيالها ونظراتها على استحياء

يرفرف قلبها فرحًا رغم بعده فقد كانا يتقابلان أحيانًا عند الذهاب إلى الجامعة وأحيانًا في وسائل المواصلات وأحيانًا عند دخول المنطقة السكنية التي يسكنان فيها سويًّا وكانت هذه المرحلة العمرية من حياة ليلى، حيث الانطلاقة والعفوية التي كانت في سجن العادات وبعد انتهاء الجامعة لم

يتقابلا بعد، فهي تعمل كفنانة تشكيلية تبحر في دواخل النفس بقلمها وهو يعمل مهندسًا بإحدى الدول العربية ويزور أهله في فترات معينة من السنة..

ولكنها استعانت بخيالها الجامح لتسمع ترنيمات تُطرب الآذان تخرج من شفتيه أثناء حديثه معها، لضحكاته، لنبرات صوته في اللثغة بالراءِ، يكاد يُجزم خيالها أنهما سيجتمعان سويًا دون حواجز تحد من التعبير عن مشاعرها يومًا ما ويقول قلبها أنه الروح التي تلائم روحها..

تتفهمها، تُدركها، تسعى لاحتوائها ولكن كانت العادات والتقاليد التي تربت عليها كلجام يلجم مشاعرها تجاهه تكمم الأفواه لم تقدر على البوح بإعجابها له بل كانت حبة الحب في بئر الأسرار لديها وفي نظرات دون أي إشارات..

وتُصارع دقات قلبها كي تبقيها مكانها ولكن بأجواء نشوة تُرخي سدولها، عندما تتخيل الحديث معه يحلق دقات قلبها عنان السماء..

تتساءل بعض الوقت ألا يمكن للمرء تحقيق الخيال؟

هل يستطيع أن يركب عجلة الزمن يومًا؟!

ويجول بين أزمنة وأحداث يروق قلبه للتعايش فيها وبها؟!

وسرعان ما يشعر قلبها أنه يحتاج إلى غرفة إنعاش حتى يستفيق من عالم الذكريات الذي كان يحلُم فيه بدقات تُحيي الأحبة وتبقيهما في عالم الواقع مع استعارة بعض من الذكريات كالنظرات والابتسامات حيث يتقابلان سويًا بعض الوقت في المناسبات الرسمية والاجتماعية للأسر العربية كما تعودنا في عاداتنا وتقاليدنا..

وغفوت عيناها مستسلمة فهناك نعاس اضطراري بعد ليلة مجاورة للحبيب الذكريات فلا جدوى من مرافقة الخيال فهو كالسراب تسعد لرؤياه ولا تقوى على ملامستهِ فهي تحلُم وتتخيل أن تُقابله من جديد دون رسميات، والآن هي قررت أن تكون نفسها بعفويتها وانطلاقتها وبما تمتلك من مهارة التعبير عن مشاعرها لقد قررت التحرر من قيود العادات والتقاليد التي لم تورثنا إلا الأمراض النفسية والنفوس المعقدة وكأن "المجتمع يبصق على كل طبيعي فعّال"

نظرت للفضاء تُحدث نفسها ما الضُّر إذا حاولنا التعبير عما في صدورنا؟ ألا يعتبر هذا مُصارحة ومكاشفة؟ والظهور بدون ماسكات كالرسوم المتحركة، بل بهِ إحياء للمشاعر المتوفية، والمحفوظة في ثلاجات العادات والتقاليد..

كانت تسكن ليلى مع أسرتها وكان أحمد ذلك الحبيب سرًّا يسكن بنفس البناية السكنية، وكان كل شهر يُعقد اجتماع لملاك البناية وبعد انتهاء ليلى من المرحلة الجامعية لم تعد تراه بل كان يصاحبها في خيالها الجامح فقط

وما من بضع ثواني وصوت يُناديها:

ليلى ... ليلى..

استيقظي أحدٌ بالخارج يدُق جرس الباب

أجابت ليلى أُمها وقالت:

ها أنا قادمة فلم تغمض جفوني..

وبهمهمة لصوت تغالب عليه التعب تُحدث نفسها ليتني يا رب ألقاه، حبيبي الذي أتمناه، لقد جفَ قلبي من النبض للوعة رؤياه!

أعلمُ أنه من الصعب أن نمضي نحكي ونتحدث ونضحك دون تكلف أو رسميات

ولكن! ألم تقل يا ربي: إني مجيب دعوة الداعِ..

وكأن العناية الإلهية كانت ترعاها..

والسماوات تسمع نداها، ونجواها..

خفق قلبها فجأة وشعرت بنسمة هواء تداعب شعراتها المسدل على ظهرها وعلى خديها ذات حمرة اللون وبملابس النوم الناعمة التي لم يسعفها الوقت ولا الحالة أن تبدلها وذهبت بخطوات سندريلا لتفتح الباب.

فوجدت منْ يرافقها أناء الليل بعينيه البندقيتين وجسمه مفتول العضلات وابتسامته الساحرة وتبادلا نظرات احتضان بحجم السماء.

يتحدث إليها دون أن يجد منها غير نظرات فهي لا تقوى على أي شيء غير النظر إليه وسماعها له حين ينطق ويتحدث

وكأن لسان حالها يقول: الراء وعيناك البندقيتان هما سر هوايَ..

وكرر سؤاله عدة مرات...

وبينما عيناهما بالعناق والقبلات..

تحدثا قائلًا: أين والدك عمي إبراهيم فهناك اجتماع الآن لملاك البناية ولقد تأخر الوقت وسيبدأ الاجتماع الأن؟!

حاولت ليلى جاهدة أن تُجيبه وكأنها تلملم قواها التي كانت كحبات لؤلؤ انفرطت من عقد عنق الأميرة عند احتضان حبيبها لها..

فقالت: لقد ذهب والدي لشراء بعض المشتريات هل لي أن أُساعدك؟!

فقال لها مسرعًا: بل هل لي أن أُساعدك؟!

قالت: بصوت حالم مرهفٍ عاشق يأبى السكوت:

اذكر لي ما سبب حالة العشق التي نحن نتنفسها بالرغم من عدم التواصل الدائم بل كان محددًا مقيدًا؟!

فقال لها بصوت تملأه الثقة والشوق والحب:

ليس هناك غير أن أرواحنا تلاقت فتعانقت وبالقبلات نتحدث ولا نملك القوة على أن نفرق بينهما.

ابتسمت ابتسامة تُضاء بها السماء والأرض، وتعالت ضحكاتهما معًا..

ولكن!

نادتها أُمها قائلةً: ليلى.. ليلى..

منْ بالباب لمَ كل ذلك الوقت تقفين هل في الأمر مشكلة؟!

قالت ليلى تحدث نفسها بصوت همسات وهمهمة:

حبيبي الذي أتمناه في الأرض والسماء وفي الجِنان..

وبصوتٍ مسموع لأُمها..

المهندس أحمد يسأل عن والدي لاجتماع ملاك البناية وسأجلس معه بعض من الوقت في العشية.

إجابتها على أُمها أثارت دهشته وفرحتهِ في نفس الوقت وتساءل:

نجلس بعض الوقت!؟ كيف ذلك ومتى والقيل والقال؟!

فقالت بسعادة تخترق قلبها لقد ساقك القدر لي الآن حتى أبوح لك بما كان يخفيه طيلة سنوات مضت حتى يكون لك مكانٌ بقلبي..

لمعت عيناه فرحًا كنجم ساطع في سماء حبهما فتواعدا أن يجلسا سويًّا في المساء بشرفتهما

وقد كان اللقاء فلم يكن لقاء بل كان احتواء محله القلب يتوارى عنه الخلق..

لقد كانت النتوء جليًّا وبدا أن الاحتواء أعظمُ وتبادلا حديث الصباح والمساء..

وكأن بينهم زهرة حُب تزهر بلثغة الراء في حديثه وبروحها ملامحها الجميلة عند حوارها له..

قال لها: لقد جذبتني رسمة شفتيك حين كنت تصمتين أو تتحدثين وعفويتك التي تجري بدمك وعيناك التي حين أراها أرى شمسًا أشرقت في وضح النهار عساها تدوم الابتسامة لقد كنت أريد التودد إليكِ ومحادثتك والخروج معك ومصارحتك بإعجابي وانبهاري بجمالك..

وإذا بصوت هاتف كرعد زلزل قلوبهما وبرق أحرق لقاءهما..

انتهى من حديثه بالهاتف وقلبه يبكي قبل عيناه..

تساءلت: ماذا بعد؟ ما بك هل حدث أمر جعل قلبك يدمي؟!

وكما شعرت من قبل بقرب لقائهما فقد شعرت أيضًا بقدوم وقت فراقهما!

قال لها بصوت شجن فيه احتضار سأسافر في حالة اضطراريه فهيئة العمل بالخارج تطلبني وما لي أيُ عذر سأذهب وأضع قلبي بين أضلعك..
لقد كان يعمل بإحدى شركات الهندسة بالخارج..
فردت ليلى بصوت فيه انهيار:
اكتشفت أني لا أُحبك فقط بل أحب الأرض التي تسير عليها، ستتوارى الشمس عني حتى تعود..
وواصلت الحديث وقلبها يزرف دمعًا:
وما الانتظار إلا جُرحًا لا يشفى إلا باللقاء..
لم تُجاوبها كلماتهِ هذه المرة بل جاوبتها زراعيه بالعناق ثم عاود الحديث ويده في يدها وبقبلة على شفتيها :
هوني على نفسك لا أتحمل أي ذرة ألم لها..
قالت: وكيف أُداوي جُرح قلبي ونفسي فلقد ذاقا معك حبةِ حُب..
وبعد أن التقطت أنفاسها واستطاعت أن تعبر عن حبها لحبيبها لقد سرقت الظروف منها فرحتها فلم تكتمل بل عادت من جديد تبتئس إنه سيسافر خارج البلاد للعمل في شركة هندسية..
وما الفراق إلا غصة يُشعلها وقود الاشتياق..
كيف تُخمد من رغبتها في مقابلتهِ ثانيًا، فتحدثا بالهاتف سويًّا بعد هذا اللقاء..
أقسم لها أنها ليست علاقة عابرة بل روح سكنت بقلبه وأنها الهواء الذي يتنفسه..

ولكن كان يراودها التّفكير مما أتى بشعور اكتئاب وبعد أن كانت تتعالى الضحكات فقد زادت هطول الدموع بلا معاد..

فما الحل إذًا فهي وحيدة والديها ولا تستطيع أن تتركهما وحبيبها في بداية طريقه يجب أن يرتب لمستقبله..

طيلة أيام الاستعداد للسفر كانت ليلى كالنبتة التي مُنعت عنها عوامل نموها الشمس، والهواء، والماء، لقد أصبحت كنجمة انطفأت وأظلمت سماء حياتها

أما حبيبها أحمد فقد كان في حيرة من أمره أيذهب ليبني المستقبل؟ أم يقيم بجانب منْ تذوق معها معنى الحياة؟ لقد رأى أخيرًا حبهما نور الشمس..

وما زاد الأمور صعوبةً هو الاختيار لقد كان أحمد يسعى للسفر بالخارج بشتى الطرق والوسائل

وإذا بالهاتف يصدر صوت وصول إيميل من جهة العمل بالخارج

"أحمد لقد تم اختيارك بالعمل في فرع الشركة بمصر فكن على استعداد واذهب لاستكمال باقي إجراءات العمل هناك بوسط البلد"

رقص أحمد فرحًا احتار هل يزفُ إليها الفرحة عبر الهاتف أم يركب قطار السرعة ويذهب إليها؟!

واستقر إلى أن يقول لها الخبر بالصوت والتلامس أيضًا فذهب إليها مسرعًا ليلى ... ليلى..

فلم يجدها سأل والدتها فقالت له: إنها بالدخل مريضة لا تقوى على الجلوس معنا والطبيب كان عندنا للكشف عليها فلم تعد تشتهي الطعام ولم تعد تريد الخروج.

قالت والدة ليلى: ادخل لها كي تقنعها، يجوز أن تنجح فيما فشلنا نحنُ فيهِ وأنا سأذهب وأحضر لها بعض الطعام الدافئ ووالدها ذهب لشراء الدواء.
أتاها حبيبها وهي واضعة رأسها على وسادتها غارقة في دموعها قال لها سأجعل من صدري وسادة لك وسأمسح دموعك بقبلات شفاتي وسيسكن قلبك داخلي ولن يترك مسكنة..
قالت ليلى وكيف يكون ذلك فالظروف بالمرصاد لنا؟!
قال لها محبًّا متشوقًا لرؤية ابتساماتها مرة أخرى :
هيئة العمل بالخارج أرسلت لي إيميل بأن هناك تعديل في مكان الشركة ولم أضطر للسفر وسأقيم بجوارك ما حيت سأعمل في فرع الشركة هنا..
ابتسمت عينا ليلى قبل شفتيها..
بل سمعت دقات قلبها مرة أخرى بعد أن كاد يحتضر..
حملها أحمد بين ذراعيه ولفتْ ليلى يدها على كتفيه وتبادلا استنشاق سعادتهما سويًّا..
فقال لها: قولي.
كنت تقولين ذقتُ معك حبة حُب ماذا بعد الآن؟!
قالت بحنانٍ وأُلفة:
سنرتوي معًا نهر حب لا ينضب منه العشق..

* * *

الفهرس

ذكريات 4

سحر محمد الصياد

عثرات قلب 17

سالي محمد عيسى

ويبقى الحب 29

سعاد محمد الناصر

وانتصرَ الحُب 34

سعاد محمد الناصر

الحلم.. 39

سعاد محمد الناصر

صمتُ الأسئلة.. 42

سعاد محمد الناصر

غربة مزدوجة.. 45

كانيادارى

ثائر قد يكون الأخير 48
كانبادارى
الراء التي خطفها القدر 56
كانبادارى
للموت وجه منّي 58
كانبادارى
العرس الجنائزي 60
كانبادارى
عطر الأسر 63
أمل السيد النجار
حبةُ حُب 76
لمياء زكي

* * *